Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

الأمام السادس

الأمام جعفر بن محمد الصادق

عليه السلام

لجنة التحرير في طريق الحق

Dallas
inv#72/6/1267

الامام السادس

جعفر بن محمد الصادق [عليه السلام]

(Arabic)
(RLIN)
BP193
.16
.I425
1990

اسم الكتاب: الامام السادس جعفر بن محمد [عليه السلام]
المؤلف: لجنة التحرير في طريق الحق
المترجم: محمد عبدالمنعم الخاقاني
الناشر: مؤسسة في طريق الحق
عددالنسخ: ٣٠٠٠
المطبعة: سلمان فارسى
الطبعة الاولىٰ: ١٣٦٩ هـ . ش

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL.
32101 022592159

1503 .J4002534 K1425869

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

ان التاريخ الثري للتشيع ــ وهو تاريخ الاسلام الحقيقي المليء بالأحداث ــ يبين في كل صفحة من صفحاته صورة صادقة لانسان كان يُمثّل في زمانه سفينة النجاة في مجتمعه ومشعل الطريق للضالين والتائهين.

وقد تجلىٰ الاسلام الأصيل الخالي من اي انحراف ــ منذ الهوّة السحيقة للسقيفة وحتىٰ السهول الخضراء للثورة الاسلامية في ايران ــ في واحد من هؤلاء الرجال العظام. وقد أطلّت الشجرة الباسقة لعلمهم وفضيلتهم التابعين الذين كانوا متفانين في حب الحقيقة و باحثين عن الاسلام الذي يريده الله تعالىٰ ورسوله (ص) قبل ان تتسلّل اليه الشوائب علىٰ ايدي الطغاة والظالمين.

وقد تألّق الحب والاتباع في سماء الاسلام الشيعي بجماعة عظيمة تبدأ بنجوم امثال سلمان وابي ذر وتنتهي الىٰ رجال احرار امثال الميرزا الشيرازي والامام الخميني، ومن الذي لا يعلم ان زُلال العقيدة والعمل في هذه المنابع الصافية يمثّل امواجا من بحر الوحي والنبوة، اشجار مغروسة في حديقة العصمة والامامة؟

هؤلاء هم الذين يحرسون بدمائهم امامة اهل بيت النبي (ص) التي تعتبر امتداداً حقيقيا للرسالة الالهية، وهم الذين يحملون على عواتقهم مشعل القرآن والتوحيد، ويعدّ هذا اهم عامل لانقاذ الاسلام وحمايته من ان تمتدّ اليه ايدي المزورين في التاريخ. ولا يستطيع احد ــ إلا ان يكون اعمى أو ينكر البصر في وجوده ــ ان يغضّ الطرف عن هذه الحقيقة المشرقة على الجبين الجريح للاسلام المحمدي (ص)، حيث انهالت صخور اعداء الاسلام وقادة الكفر الجاهلي من كل حدب وصوب تستهدف الاسلام وصدور أئمة الشيعة ورؤوس اتباعهم المخلصين...

اجل ان القامة الرشيقة لقادتنا الاقوياء كانت الدرع الحصين الذي تحطّمت عليه كل صخور البلاء حتى يبقى الاسلام مصوناً منها، وحتى يستطيع السالكون في جميع الوديان البعيدة والقرون المتطاولة الوصول الى المنبع الصافي للاسلام الواقعي من دون ان تكدّره شوائب الكفر والظلم، وقد لاحظنا ان هؤلاء الصالحين قد وجدوا طريقهم الى ذلك المنبع الطهر، ومع ان الاعداء لم يدّخروا جهداً ولم يعفّوا عن جريمة إلا ان ذلك المنبع الواضح لم يعله الغبار ولم تغطّه الشوائب بالنسبة لأصحاب القلوب البصيرة...

وموضوع دراستنا هو سادس نجم يتألق في سماء الامامة، وقد اصبح من اروع حلقات هذه السلسلة حسب مقتضيات زمانه وموقعه الاجتماعي، فأحيا العلوم الاسلامية، وكان قد سبق ذلك تألق الشرف والشجاعة الحسينيين الذين قد غسلا الاسلام وعمداه مما لحق به من شوائب بالدماء الطاهرة الزكية.

فمذهبنا هوالمذهب الجعفري، ونحن نفتخر بهذا الانتساب، لانه اذا كان الاسلام هواسلام محمد (ص) فان دعوته لابد ان نجدها في دم الحسين (ع)، وبيانه في تعليم الامام جعفرالصادق (ع)، وان كان الاسلام هواسلام حكّام الزور والتآمر علىٰ اهل بيت الرسالة فنحن نتباهىٰ بالبعد عن هذا الاسلام.

ان لمولانا صادق آل محمد (ص) حقّاً علىٰ ايماننا وعقيدتنا هو نفس ذلك الحق الثابت لجهاد علي (ع) ولصلح الحسن (ع) ولدم الحسين (ع) ولدموع الزهراء وزينب (ع)، فاذا كان الاسلام هو ذلك الذي بكت عليه الزهراء فلابد اذن ان يكون مذهبنا جعفريا، وان كان الاسلام هو ما أُجلس علىٰ الكرسي المغصوب، وقد نظرت اليه الزهراء (ع) بعين الغضب فاننا نعلنها صريحة اننا لسنا متمسكين بهذا الاسلام، ونشهد الله اننا لن نخضع لمثل هذا الاسلام! لانه الاسلام الذي ابتعد عنه اهل بيت النبي، وتجلىٰ في كراسي الغاصبين وبلاط الخلفاء، واولياء امره امثال معاوية ويزيد وهارون والمتوكل، ومثل هذا الاسلام ليس هواسلام جعفر بن محمد الصادق (ع) وبالتالي فانه لن يكون اسلامنا ايضا... ان الامام الكريم جعفر بن محمد(ع)قد شيّد نهضة علمية وقام بنشر معارف الاسلام بحيث ضيّع الفرصة علىٰ بلاط الخلفاء حيث كانوا يتآمرون للحيلولة دون انوار المعرفة، وبناءً علىٰ ذلك نلاحظ انه في الجيل اللاحق وحينما ورد الامام الثامن علي بن موسىٰ الرضا عليهماالسلام الىٰ نيشابور فان آلاف المحبين قد استقبلوه وكل وجودهم آذان صاغية تحب ان تسمع كلام امام الاسلام. واذا قارنّا هذا النجاح بذلك الزمان الذي دخل فيه الامام زين العابدين (ع) مع اسرىٰ اهل بيت النبوة الىٰ الشام وكان اهل

الشام يديعون بين الناس ان هؤلاء خوارج ثائرون ضد الاسلام! واخذنا ايضا بعين الاعتبار البعد المكاني بين نيشابور ودمشق، لوجدنا المدىٰ الذي تقدمت فيه النهضة العلمية للامام الصادق (ع) وبعد آثارها.

وقد كانت المائدة التي هيأها الامام عامّة وشاملة بحيث لم تقتصر علىٰ اتباعه وانما امتدت لتشمل اعداءه ومخالفيه، والكل يعلم ان الامام الاول للفقه السنيّ وهو «ابوحنيفه» يفتخر بانه قد تتلمذ في مدرسة الامام الصادق (ع) لمدة سنتين، يعدّهما اساس وعيه الفقهي وذلك من خلال قوله:

«لولا السنتان لهلك النعمان»[1]

والنعمان هو اسم ابي حنيفة.

وقد تربىٰ في مدرسة الامام الصادق (ع) رجال مشاهير يحتلون الدرجات العليا في العلوم المختلفة، وكل واحد منهم يشكل صفحة مضيئة في تاريخ المعارف الاسلامية، ومن جملتهم زرارة ومحمد بن مسلم في الفقه، وهشام ومؤمن الطاق في الفلسفة والكلام، والمفضّل وصفوان في المعارف والعرفان، وجابر بن حيان في الرياضيات والعلوم التجريبية، وكثير غيرهم يعدّون من مفاخر ومؤسسي العلوم والفنون الاسلامية المتنوعة.

وقد كان سيل العلوم الالهيةعلىٰ يد الامام الصادق (ع) جاذبا للانتباه بحيث اجتذب اهتمام العلماء الا وربيين بعد مرور ثلاثة عشر قرنا من بدئه لكي يتعمقوا في دوره العلمي، وقد خصصوا كتبا للحديث

---

١ ــ التحفة الاثنى عشرية ص ٨، نقلاً عن كتاب الامام الصادق ج ١ ص ٧٠.

عن ذلك، ويُعدّ هذا جانبا من فضائل الامام، لان اي عاقل لا يستطيع ان يدعي انه بمدح اشعاع من اشعة الشمس قد مدح الشمس ووصفها، فمادح الشمس مداحّ لنفسه، لانه يعلن ان عينيه تتمتعان بالرؤية السليمة وليستا مصابتين بالرمد.

وفي هذه الكراسة التي هي بين ايديكم لم نحاول ان نستقصي جميع ابعاد حياة الامام الصادق المباركة كما ينبغي، لان مثل هذه المهمّة خارجة عن قدرتنا، وانما حاولنا فيها تصوير بعض النقاط المشرقة في حياة ذلك الامام العظيم، ومع كل ما فيها من الوان القصور فاننا نأمل ان تكون جذابة ومفيدة للاخوة المسلمين والاخوات المسلمات ولاسيما الطبقة الشابة منهم، ومن الله التوفيق. مؤسسة فى طريق الحقّ

نظرة سريعة لشخصية الامام السادس (ع)

اسمه الكريم «جعفر»، وكنيته «ابوعبدالله»، ولقبه «الصادق»، ووالده الامام محمد الباقر عليه السلام وهو الامام الخامس للشيعة.

ولد في المدنية في اليوم السابع عشر من ربيع الاول عام ثلاث وثمانين للهجرة[1]، وامه السيدة الجليلة «ام فروه»، وقد قال الامام نفسه في حق والدته:

«لقد كانت امي من النساء المتقيات المؤمنات المحسنات»[2].

عاش في الدنيا خمساً وستين سنة، وامتدت فترة امامته اربعاً وثلاثين سنة، منذمائة واربعة عشر هجري وحتىٰ مائة وثمانية واربعين.

وتعاقب علىٰ الخلافة في زمانه:

«هشام بن عبدالملك» و «الوليد بن يزيد بن عبدالملك» و«يزيد بن الوليد» و«ابراهيم بن الوليد» و«مروان الحمار» من بني امية،

---

١ ــ اعلام الورىٰ ص ٢٦٦.

٢ ــ الكافي ج ١ ص ٤٧٢.

و«السفاح» و«المنصور الدوانيقي» من بني العباس.[٣]

واما ابناؤه فهم: «الامام الكاظم عليه السلام» و«عبدالله» و«محمد ديباج» و«اسحاق» و«علي العريضي» و«العباس» و«ام فروه» و«اسماء» و«فاطمة»، فكانوا سبعة اولاد وثلاث بنات.[٤]

اخلاق الامام:

لقد كان ائمتنا الطاهرون ــ كل واحد في زمانه ــ يمثلون النموذج الارفع للاخلاق والعمل الاسلاميين، وكما كانوا هم يوصون اتباعهم: «كونوا دعاة الناس بغير السنتكم».

اي لتكن دعوتكم للاسلام بسلوككم وأعمالكم، فان جميع احداث حياتهم (ع) كانت دروساً واضحة للأساليب الاسلامية الأصيلة في جميع ابعاد الحياة، ولم يكن هناك احد اكثر تقيّداً منهم بأحكام الاسلام، ولم يأمروا بمعروف إلا وكانوا مقيدين بالعمل به قبل الآخرين واشدّ منهم، ولم ينهوا عن منكر إلا وكانوا متجنبين عنه دائماً. وهكذا كان اتباع مدرستهم يتعلّمون دروس الايمان والعمل من جميع جوانب حياة ائمتهم، وباقتفائهم اثرهم (ع) يصبحون مسلمين صادقين ونماذج وقدوة للآخرين في كل عصر ومصر.

---

٣ ــ اعلام الورىٰ ص ٢٦٦. وقد وصل هشام الىٰ الخلافة عام (١٠٥)، ومات المنصور الدوانيقي عام (١٥٨). انظر كتاب تتمة المنتهىٰ للمحدث القمي.

٤ ــ الارشاد للمفيد ص ٢٦٦. والمناقب ج ٤ ص ٢٨٠.

ونذكر الآن مقتطفات من اخلاق الامام وسلوكه:

الامام يعمل:

١ ــ يقول عبدالاعلىٰ: في يوم من ايام الصيف شاهدت الامام الصادق عليه السلام في طريق من طرق المدينة وهو ذاهب ليعمل فقلت له: فديتك كيف تكلّف نفسك هذه المشقة في مثل هذا الجو الساخن مع مالك من منزلة قريبة من الله ومع قرابتك للنبي الاكرم (ص)؟ فقال الامام:

خرجت لكسب الرزق حتىٰ استغني عن امثالك.[٥]

٢ ــ يقول ابوعمرو الشيباني: شاهدت الامام الصادق عليه السلام مرتدياً ثوباً خشناً وبيده مسحاة يعمل بها في الحقل والعرق يتصبّب منه.

فقلت له: فديتك ناولني المسحاة واسمح لي ان اعمل مكانك.

فقال: احب ان يتأذّىٰ الرجل بحرّ الشمس في طلب المعيشة.[٦]

التجارة بربح عادل:

٣ ــ ارسل الامام الصادق عليه السلام احد اصحابه وهو يسمىٰ بـ «مصادف» الىٰ مصر للتجارة واعطاه الف دينار. فاشترىٰ مصادف سلعاً بتلك الاموال وذهب الىٰ مصر برفقة تجّار آخرين، ولما اقتربوا من مقصدهم التقوا بقافلة عائدة من مصر، فسألوهم عن وضعية السلع التي

---

٥ ــ الكافي ج ٥ ص ٧٤. ج ٤٧ ص ٥٥.

٦ ــ الكافي ج٥ ص٧٦. البحار ج ٤٧ ص ٥٧.

يحملونها وهي تتعلق بالاحتياجات العامّة للناس، فأخبروهم ان بضائعكم نادرة في سوق مصر.

ولمّا علم مصادف وسائر التجار الذاهبون الىٰ مصر بحاجة اهلها الىٰ بضائعهم اتفقوا علىٰ ان لا يبيعوها بأقل من ربح يعادل مائة في المائة، وقد نفذّوا فعلا ما اتفقوا عليه، ونتيجة لذلك فقد ربح مصادف الف دينار.

وبعد انتهاء مهمتهم عادوا الى المدينة فجاء مصادف الىٰ الامام الصادق وسلّمه كيسين في كل واحد منهما الف دينار قائلا له ان في احدهما رأس المال الذي اعطيتني اياه، وفي الآخر ربح التجارة.

فسأله الامام: انه لربح كبير، فكيف امكنك الحصول عليه؟

فبيّن له مصادف ان البضاعة التي كانوا يحملونها نادرة في مصر وشرح له كيفية اتفاق التجار علىٰ ثمن البيع.

فقال له الامام:

سبحان الله أتتعاهدون بضرر جماعة من المسلمين حيث لا تبيعون بضاعتكم بأقل من ربح يعادل مائة في المائة؟ عندئذ اخذ احد الكيسين بعنوان انه رأس المال ورفض الآخر قائلا له:

لا حاجة لي بهذا الربح ــ الذي جاء عن طريق لاانصاف فيه ــ يا مصادف مجالدة السيوف اهون من طلب الحلال.[٧]

اي ان تحصيل المال عن طريق حلال صعب جداً.

---

٧ ــ الكافي ج ٥ ص ١٦١. البحار ج ٤٧ ص ٥٩.

ميزانية لحلّ الاختلافات:

٤ ــ اختلف شخص مع اقربائه على ميراث، وانتهى امرهم الى الجدال والعراك، فمربهم المفضّل ــ وهو احد اصحاب الامام الصادق (ع) ــ والتفت الى ما يجري بينهم من نزاع فدعاهم الى بيته وأقرّ بينهم الصلح بأربعمائة درهم، ثم دفع الدراهم وانهى الاختلاف، وقال لهم المفضّل: ان هذه الاموال التي دفعتها في سبيل حلّ النزاع الواقع بينكم انما هي اموال الامام الصادق عليه السلام حيث امرني بصرف امواله لايجاد الصلح بين شخصين من الشيعة يحدث بينهما صراع ونزاع.[٨]

الامام ومائدة الخمر:

٥ ــ يقول هارون ابن جهم: كنّا في الحيرة (وهي مدينة تقع قرب الكوفة وقد نفى المنصور الدوانيقي الامام الصادق اليها وفرض عليه الاقامة الجبرية فيها) وفي احدى المناسبات دعا احد ضباط الجيش مجموعة من الناس ومن جملتهم الامام الصادق (ع) الى منزله، وبينما كنّا جلوساً حول المائدة طلب احد المدعوين ماء فجيئ له بقدح من الخمر بدلاً عنه، فنهض الامام من على المائدة وغادر معترضاً وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انه بعيد عن رحمة الله وملعون من جلس حول مائدة يُتناول فيها الخمر.[٩]

---

٨ ــ الكافي ج ٢ ص ٢٠٩.

٩ ــ الكافي ج ٦ ص ٢٦٨. البحار ج ٤٧ ص ٣٩.

منع شارب الخمر:

٦ ــ أمر المنصور بفتح صندوق بيت المال واعطاء كل احد شيئا منه. ومن جملة الاشخاص الذين جاءوا لاستلام سهم من بيت المال شخص يسمىٰ بـ «الشقراني»، ولكنه لمّا لم يكن احد يعرفه لهذا لم يجد وسيلة لكي ينال سهماً منه. وكان الشقراني ينتسب الىٰ جد كان عبداً فحررّه رسول الله (ص)، وقدورث عنه الشقراني هذه الحرية ولهذا كان يطلق عليه انه «مولىٰ رسول الله». ويعدّ هذا مفخرة للشقراني، ومن هنا فهو يعتبر من المنتسبين الىٰ اهل بيت الرسالة.

وبينما كان الشقراني يبحث عن شخص يعرفه ليصبح واسطة لأخذ سهم له من بيت المال اذابه يرىٰ الامام الصادق (ع) فتقدم نحوه وذكر له حاجته. وذهب الامام ولم يستمر طويلا حتىٰ عاد للشقراني ومعه السهم الذي اخذه له. وعندما سلّمه للشقراني قال له بلهجة يملؤها الحنان والعطف:

«ان فعل الخير حسن من كل احد ولكنه منك احسن واجمل بسبب انتسابك لنا حيث تعدّ متعلقا بأهل بيت الرسالة. وفعل الشرقبيح من كل احد ولكنه منك اقبح واسوأ بسبب ذلك الانتساب».

قالها الامام الصادق (ع) ومضىٰ لسبيله.

وبمجرد ان سمع الشقراني هذه الجملة عرف ان الامام قد اكتشف سرّه اي انه يعلم بكونه شاربا للخمر، وقد استبّد به الخجل والحياء لانه مع كون الامام عالماً بشربه الخمر لكنه مع ذلك تلطف به وقضىٰ له حاجته ثم نبهّه علىٰ خطئه، وبذلك ايقظ ضميره.[١٠]

---

١٠ ــ البحار ج ٤٧ ص ٣٤٩، نقلاً عن اعلام الورىٰ والمناقب وكتاب آخر ــ الانوار البهية ←

شرط تحرير العبد:

٧ ــ يقول ابراهيم بن بلاد: لقد قرأت وثيقة تحرير احد العبيد الذين حررهم الامام الصادق فوجدت فيها ما يلي:

«حرر هذا العبد جعفر بن محمد من اجل رضىٰ الله تعالىٰ، وهو لا يريد منه اي شكر ولا جزاء بشرط ان يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويقوم بالحج ويصوم شهر رمضان ويحب اولياء الله ويتبرأ من اعداء الله».

وقد شهد في هذه الوثيقة ثلاثة اشخاص.[١١]

الامام بازاء فقير عارف لله شاكر له:

٨ ــ يقول مسمع بن عبدالملك: كنّا في منىٰ عندالامام الصادق عليه السلام ونحن مشغولون بأكل العنب فدخل علينا سائل وطلب من الامام مساعدة فأعطاه الامام عنقوداً من العنب فرفضه قائلا: ان كان عندكم مال فاعطوني، فأجابه الامام: يعطيك الله.

وذهب السائل قليلا ثم عاد طالبا عنقود العنب، فقال له الامام: يعطيك الله، ولم يعطه شيئا.

ثم جاء سائل آخر فأعطاه الامام ثلاث حبات من العنب فأخذها منه قائلا: شكراً لله رب العالمين الذي منحني هذا الرزق.

فملأ الامام كفيه بالعنب واعطاه اياه فأخذها السائل وهو يقول: شكراً لله رب العالمين.

→

نقلا عن تذكرة ابن الجوزي عن ربيع الابرار للزمخشري.

١١ ــ الكافي ج ٦ ص ١٨١. البحار ج ٤٧ ص ٤٤.

فأمره الامام بالانتظار وسأل مرافقه: كم معنا من المال؟ وكأنه كان معهم عشرون درهما فأعطاها لذلك السائل، فقال السائل: شكراً لله، الهي ان هذه النعمة منك وانت واحد لا شريك لك.

فقال له الامام انتظر قليلا واعطاه ثوبه وامره بلبسه. فلبسه السائل وقال:

الحمدلله الذي اعطاني هذا الثوب وكساني به، ثم التفت الىٰ الامام قائلا له: جزاك الله خير الجزاء.

يقول مسمع: يبدو أنه اذا لم يدع للامام في هذه المرة و اكتفى بشكر الله وحمده فان الامام كان يستمر في اعطائه.[١٢]

عبادة الامام:

يقول مالك بن انس: كان جعفر بن محمد مشغولاً دائما اما بالصيام واما بالصلاة واما بذكر الله، ويعّد من اكبر العبّاد والزهاد. وكان يحدّث كثيراً، ومجلسه لطيف عظيم الفائدة، وعندما كان يقول: «قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله» فان لونه يتغير... كنّا معه في الحج في احدىٰ السنين فلمّا أحرم تغيرت أحواله وكأنه لا يستطيع ان ينطق بـ «لبيّك»، ومن شدّة هول الموقف يكاد يسقط من مركبه، فقلت له: يا بن رسول الله قل لبيك ولا بدلك من قولها.

فقال: كيف اقول «لبيك اللهم لبيك» بينما انا خائف ان يجيبني الله بقوله: «لا لبيك ولا سعديك»[١٣].

---

١٢ ــ الكافي ج ٤ ص ٤٩.

١٣ ــ البحار ج ٤٧ ص ١٦، نقلاً عن الخصال وعلل الشرائع وامالي الصدوق والمناقب لابن شهراشوب.

الاستسلام لله والرضا بقضائه:

١٠ ــ يقول قتيبة وهو من اصحاب الامام الصادق (ع):

ذهبت في احد الايام الىٰ بيت الامام الصادق لعيادة احد اولاده حيث كان مريضا فوجدت الامام واقفاً امام الباب وهو قلق حزين، فسألته عن حال الطفل فأجابني: «والله انه لن يبقىٰ»، ثم دخل الىٰ البيت وبعد فترة خرج اليّ وقد هدأ روعه وزال اضطرابه فساورني الأمل وفرحت متخيلاً ان المريض قد تحسنّت حالته، فسألته مرة اخرىٰ عن حالة الطفل، فأجاب (ع):

«لقد توفاه الله» فقلت له متعجّباً: فداك نفسي عندما كان حيّا كنتَ مضطربا وحزينا عليه، والآن قد تُوفّي لكنك لا يُلاحظ عليك الحزن؟

فقال: نحن اهل بيت يظهر علينا الحزن قبل وقوع المصيبة، ولكنه بعد نفوذ القضاء الالهي فاننا راضون برضا الله ومستسلمون لأمره.[١٤]

حلمه وصبره:

١١ ــ يقول حفص بن ابي عايشه: ارسل الامام الصادق خادمه لانجاز احدىٰ المهمات، فتأخّر الخادم، فذهب الامام خلفه ووجده في احدىٰ الزوايا وهو يغط في نوم عميق فجلس الامام عند رأسه وأخذ يروّح له بهدوء، ولمّا استيقظ قال له الامام: والله ليس لك ان تنام في الليل والنهار، ان الليل لك والنهار لنا.[١٥]

---

١٤ ــ الكافي ج ٣ ص ٢٢٥ ــ البحار ج ٤٧ ص ٤٩.

١٥ ــ المناقب ج ٤ ص ٢٧٤ ــ الكافي ج ٢ ص ١١٢.

مساعدة الفقراء:

١٢ ــ يقول معلىٰ بن خنيس: في احدىٰ الليالي المطيرة لاحظت الامام الصادق (ع) وهو متجّه الىٰ ظلة بني ساعدة «وهي خيمة منصوبة ليستريح فيها الفقراء والبؤساء) فتبعته، وبينا نحن في الطريق اذ سقط شيءٌ مما يحمله الامام معه فقال: «بسم الله، اللهم ارجع الينا ما سقط منّا علىٰ الارض»، فتقدّمت نحوه وسلمت عليه، فقال: يا معلىٰ هذا هو أنت؟ فقلت: نعم فداك نفسي.

فقال: ابحث بيدك فاذا وجدت شيئا فاعطني اياه. فبحثت ووجدت عدداً من أرغفة الخبز فناولته اياها وكان يحمل كيسا مليئا بالخبز، وبدالي انه ثقيل الوزن جداً فقلت له: فداك نفسي اسمح لي ان احمل الكيس عنك.

فقال كلا: انا أولىٰ بهذا العمل منك، ولكن تعال معي. فصحبته الىٰ ان وصلنا الىٰ ظلة بني ساعدة فرأينا مجموعة من البؤساء وهم نيام فوضع الامام قرصاً أو قرصين من الرغيف تحت ثياب كل واحد منهم ولم يستثن احداً ابداً، ثم عدنا ادراجنا، فقلت له: فديتك هل كان هؤلاء من شيعتكم؟

اجاب: لو كانوا من شيعتنا لقدّ منا لهم مساعدة اكبر من هذه.[١٦]

١٣ ــ يقول هشام بن سالم: كان من عادة الامام الصادق عليه السلام ان يحمل علىٰ عاتقه في الليالي كيسا فيه اقراص من الخبز

---

١٦ ــ الكافي ج ٤ ص ٨. ثواب الاعمال ص ١٧٣. البحار ج ٤٧ ص ٢٩ (لو عرفوا الحق لواسيناهم بالدّقة).

ولحم ودراهم ليوزعها على المحتاجين في المدينة، وهم لا يعرفونه، ولمّا لقي الامام وجه ربه انقطعت هذه المساعدة عنهم، وعندئذ التفتوا الى ان الامام هو صاحب تلك المساعدات.[١٧]

الامام الصادق (ع) والحكام

ولد الامام (ع) سنة ثلاث وثمانين هجرية، في زمان سلطة خامس خليفة اموي ظالم هو عبدالملك بن مروان، و وصل الى الامامة في سن الواحدة والثلاثين عام مائة واربعة عشر هجري، وذلك بعد استشهاد والده الكريم الامام محمد الباقر عليه السلام، في زمان خلافة هشام بن عبدالملك.

وفيما يلي نذكر اسماء الخلفاء الأمويين الذين عاصروا الامام الصادق (ع) منذ ولادته وحتى عام (١٣٢) هجري (عام انقراض سلطة بني أمية)، مشيرين الى فترة حكومة كل واحد منهم:

«عبدالملك بن مروان» وقد استمرت فترة حكومته منذ عام (٦٥) وحتى عام (٨٦)، وقد تقارنت السنين الثلاث من اواخر حكومته مع الفترة الممتدة منذ ولادة الامام وحتى صيرورة عمره الشريف ثلاث سنوات.

«الوليد بن عبدالملك» وقد حكم تسع سنوات وثمانية شهور.

«سليمان بن عبدالملك» حكم ثلاث سنوات و ثلاثة شهور.

عمر بن عبدالعزيز» حكم سنتين وخمسة شهور.

«يزيد بن عبدالملك» حكم اربع سنوات وشهراً واحداً.

---

١٧ ــ الكافي ج ٤ ص ٨. البحار ج ٤٧ ص ٣٨.

«هشام بن عبدالملك» حكم عشرين سنه، وقد عاصر ما يناهز اثني عشر عاما منها زمان امامة الامام الصادق عليه السلام.

«الوليد بن زيد بن عبدالملك» حكم عاما واحداً

«يزيد بن الوليد» حكم ستة شهور.

«ابراهيم بن الوليد» حكم شهرين أو أربعة شهور.

«مروان الحمار» حكم خمس سنوت وعدة شهور، وبهزيمة علىٰ يد بني العباس و بقتله في شهر ذي الحجة عام (١٣٢) هجري زالت دولة بني امية وانقرضت.[١٨]

واستمرت حكومة الامويين ما يقرب من قرن كامل وهي من أحلك مراحل التاريخ الاسلامي، فقد كان الاسلام والامة الاسلامية خلال هذه الفترة ملعبة للأغراض الاموية، حيث كان الامويون لا يقيمون وزناً للناس. وكان جميع المسلمين ولا سيما اتباع اهل بيت النبوة يعيشون اقسىٰ الاوضاع في ظل الارهاب والخوف تحت سيطرة هذه الحكومة الجائرة، فنلاحظ مثلا «عبدالملك» وهو احد الحكام الامويين وهو يعلن للناس في احدىٰ خطبه:

«كل من يدعوني الىٰ التقوىٰ فاني اضرب عنقه»[١٩]

ويقول «الوليد بن عبدالملك» في اول خطبة له بعد تولّيه السلطة:

«كل من يتمرّد علينا فاننا نقتله، وكل من يسكت فان السكوت

---

١٨ ــ «الامام الصادق» ج ١ ص ٣٤-٣٧ نقلنا النص باختصار، تتمة المنتهىٰ ص ٥٧-١٠٤.

١٩ ــ الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ٥٢١-٥٢٢.

سوف يقتله»[٢٠].

لقد كان بنو امية مجموعة من الزنادقة التي لا تعرف الله وقد اظهروا عداوة عميقة للدين والنبي (ص) منذ ظهور الاسلام، وقد أدّت الحوادث اللاحقة وغزوتا بدر وأحد الىٰ أن تنبعث في قلوب بني اميّة احقاد لا تقبل الزوال اتجاه النبي (ص) وعلي(ع)، و بعد ذلك فانهم لم يفوتوا اية فرصة سنحت لهم للانتقام وتفريغ الاحقاد، ولم يدخروا جهداً ولم يعفّوا عن أية حيلة أو خداع أو جريمة للقضاء علىٰ الاسلام والايقاع بالنبي(ص) واهل بيته الطاهرين(ع).

وقد استلم بنو امية السلطة في العالم الاسلامي عمليا في سنة اربعين للهجرة بعد استشهاد الامام اميرالمؤمنين وجلوس معاوية علىٰ عرش الخلافة، ومنذئذ بدأت تُسلّط علىٰ الشيعة اشد الضغوط، وكان شتم اميرالمؤمنين علي (ع) علىٰ رأس قائمة المهمّات التي ينفذها بنوأمية، ويعدّ القتل الجماعي في كربلاء واستشهاد سيدالشهداء الحسين عليه السلام ذروة جرائم بني امية. وقبل فاجعة كربلاء وبعدها ايضا قام بنوامية بقتل مجموعة كبيرة من شخصيات الشيعة والعلويين بتهمة الدفاع عن اهل البيت (ع) وسجنوا كثيرين آخرين منهم في زنزانات مخيفة وفي أتعس ظروف للسجن. فاستشهد مثلا زيد ابن الامام الرابع عليه السلام في عصر هشام بن عبدالملك، وقد أمر هشام بتعليق جسمه بعد شهادته علىٰ مقصلة الصلب، ثم أُنزل بعد عدة اعوام وأحرق...

وقد كان لواقعة كربلاء وفضح الحقائق والنضال السلبي للائمة (ع)

---

٢٠ ــ تاريخ الطبرى ج ٨ ص ١١٧٨ ــ طبعة ليدن.

بعد تلك الفاجعة اعظم الأثر في ايجاد الاشمئزاز العام من حكم بني امية، وبالتالي فقد أدّت شهادة زيد الىٰ ان ينفد صبر الناس ازاء ظلم بني امية وقسوتهم ولا دينيتهم، وانتهىٰ الأمر عام (١٣٢) الىٰ الاطاحة بسلطة العار حكومة الأمويين، واستغل بنو العباس الظروف واستلموا زمام الامور متظاهرين بمظهر الدفاع عن الحق.

والامام الصادق عليه السلام، مثل سائر أئمتنا الكرام، تفرّغ طيلة حياته، ومن جملتها الاعوام التي عاشها تحت سيطرة حكم الامويين، للنضال ضد الظالمين بصورة علنية أو خفيّة، وكلّما سمحت له الظروف مع القيود والمراقبة المفروضة عليه من قبل بني امية فانه كان يستغلها لايقاف الناس علىٰ الحقائق وهداية محبي الدين والحقيقة وبيان الاسلام الحقيقي لهم.

واثناء حكومة هشام بن عبدالملك سافر الامام الصادق عليه السلام برفقة والده الكريم الىٰ حج بيت الله الحرام، وقد خطب في الاجتماع العظيم للحجاج خطبة تعرّض فيها لموضوع قيادة اهل بيت النبي (ص) وامامتهم قائلا:

«الحمدلله الذي ارسل محمداً (ص) بالصدق، وكرمنا به، فنحن الذين اصطفانا الله من بين الخلق، ونحن خلفاء الله (في الارض)، فالمفلح هومن يتبعنا، والخاسر هو من يعادينا»[٢١].

فنقلوا مضمون حديث الامام الىٰ هشام، وبعدعودة الناس من الحج اصدر هشام امره الىٰ حاكم المدنية ان يشخص الىٰ دمشق الامام

---

٢١ ــ دلائل الامامة للطبري الشيعي ص ١٠٤-١٠٦ ــ الطبقه الثانية في النجف.

الباقر والامام الصادق عليهما السلام، فذهبا الىٰ دمشق وكانت لهما مواقف مع هشام...

ومن ابرز الخدمات الجليلة التي قام بها الامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام في تلك المرحلة التاريخية الحالكة هي نهضتها العلمية لاحياء وحفظ معارف الاسلام وتربية علماء وفقهاء ملتزمين يشعرون بالمسؤولية حتىٰ يتمكنوا من ترويج الدين والقرآن في اقصىٰ نقاط البلاد الاسلامية من دون انحراف ومن دون ان يتطرق اليه تزوير بلاط الحكام، فتُحفظ احكام الدين ويُحال دون الانحرافات العقائدية ويُحرس الخط الاصيل للاسلام. ويعتبر هذا اللون من النضال اشدّ صعوبة ــ من بعض الجهات ــ من بعض الوان النضال الاخرىٰ، حيث نلاحظ ان حكم بني امية الظالم اللااسلامي قد استمر طيلة قرن كامل، ومع ان الامويين حاولوا بكل جهودهم ان يعيدوا الامة الىٰ الجاهلية، وقد حققوا بعض التقدم في هذا المجال حسب الظاهر، ولكنهم لم ينجحوا في تحطيم القواعد الأساسية للدين، وذلك بفضل جهود ائمتنا الكرام ودقّة عملهم في تربية التلامذة والمؤهّلين وبثّهم في المجتمع ليصبحوا مصدر الاشعاع والوعي والمعرفة الاسلامية بين الناس، فكان ذلك سدّا منيعا في وجه الامويين، وبالتالي فقد فشل اعداء الاسلام في تحقيق غرضهم الاساسي وهو القضاء علىٰ جذور الاسلام.

* * *

وفي النهاية سقطت الدولة الاموية وحلّ بنو العباس محلّ الامويين...

ويعود بنو العباس الىٰ جدهم العباس بن عبدالمطلب وهو عم النبي (ص)، وقد جمعوا الناس حولهم في البدء بعنوان المطالبة بدماء

شهداء كربلاء والنضال ضد ظلم الامويين، وقد استغلوا حب الايرانيين لآل علي (ع)، واشاعوا انهم يريدون انتزاع السلطة من الامويين وتسليمها الىٰ من يليق بها، فاجتمعت مجموعة من الثوار و بمساعدة ابي مسلم الخراساني و بعض الايرانيين اطاحوا بحكم بني امية، ولكنهم بدل ان يسلموا السلطة الىٰ امام ذلك العصر وهو جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقد عضوا هم بالنواجذ علىٰ زمام الامور. وكان بنوالعباس يتظاهرون كثيراً بالاسلام، ويشيعون بين الناس انهم من آل النبي حتىٰ يوحوا اليهم انهم الورثة الحقيقيون للنبي وانهم انسب الناس للخلافة الاسلامية، ولمّا كانوا اعرف الناس بمن هو أهل لهذا المنصب، فانهم مثل الطغاة السابقين راحوا يسلطون الضغوط المختلفة علىٰ الامام الصادق(ع) واصحابه وشيعته لحفظ سلطانهم، وحاولوا بكل الطرق المتوفّرة لهم ان يبعدوا المجتمع عن اهل بيت النبوة والامامة، حتىٰ لا يفقدوا ما ظفروا به من حكومة وخلافة باسم القرابة من النبي و بالتظاهر بتطبيق الاسلام...

ومنذ انهيار الحكم الاموي عام (١٣٢) هـ وحتىٰ وفاة الامام الصادق (ع) عام (١٤٨) هـ، فقد تسلّم زمام الحكم اثنان من خلفاء بني العباس وهما «ابوالعباس السفاح» و «المنصور الدوانيقي». فالسفاح هو اول خليفة عباسي وقد استمر حكمه اربعة اعوام. والمنصور هو الخليفة الثاني وقد بقى في الحكم (٢٢) عاما، بمعنىٰ انه قد استمرت السلطة في قبضته بعداستشهاد الامام الصادق (ع) لمدة عشر سنوات.[٢٢]

---

٢٢ ــ تتمة المنتهىٰ ص ١١٠ و ١١٣ و ١٤٧.

وقد عاش الامام الصادق عليه السلام خلال هذه الفترة ولاسيما تحت سيطرة حكومة المنصور معانياً من الضغوط الشديدة والمراقبة الدقيقة، حتىٰ انه في كثير من الاحيان كانوا يحولون بينه وبين الاتصال بالناس.

يقول «هارون بن خارجة»: كان احد الشيعة بحاجة ماسّة للسؤال من الامام الصادق (ع) عن صحة الطلاق ثلاث مرات في مجلس واحد، فذهب الىٰ المحلّة التي كان يسكن فيها الامام (ع) ولكنه وجد ان الخليفة العباسي قد منع مواجهة الامام (ع)، فتحيّر في كيفية الوصول الىٰ الامام (ع)، وفي هذه الاثناء صادف احد الباعة الجوالين وهو يرتدي ثيابا رثة ويبيع الخيار، فاقترب منه واشترىٰ منه كل ما لديه من خيار واستعار ثيابه ثم دنا الىٰ منزل الامام متظاهراً بانه بائع للخيار، فناداه واحد من الخدم في منزل الامام بعنوان انه يريد ان يشتري من بضاعته، وبهذا العذر دخل الىٰ البيت ولقي الامام (ع)، فقال له الامام (ع):

لقد تحايلت عليهم بحيلة جيدة! فما هي حاجتك؟

فطرح عليه سؤاله، فأجابه الامام: ان ذلك الطلاق باطل...[٢٣]

ولم يدخر المنصور الدوانيقي ايّ جهد في التشدّد والحاق الاذىٰ بالامام واتباعه وسائر العلويين، وقد اقتفىٰ بدقّة نفس الاسلوب الأموي في هذا المجال، فألقىٰ بـ «سدير» و «عبدالسلام بن عبدالرحمان» وجماعة آخرين من اصحاب الامام في غياهب

---

٢٣ ــ البحار ج ٤٧ ص ١٧١، نقلاً عن خرائج الراوندي.

ان الطلاق ثلاث مرات في مجلس واحد باطل عند الشيعة. وتراجع المصادر الفقهيه في هذا المجال.

السجن، وقتل «المعلّى بن خنيس» وهو من خيرة اصحاب الامام الصادق (ع)، ونفى الى العراق «عبدالله بن الحسن» وهو من احفاد الامام الحسن (ع) ويعتبر من ابرز العلويين، ولم يكتف بهذا وانما القاه في السجن ثم قتله...[٢٤]

ومن ناحية اخرى فقد كان يحاول بمختلف الطرق لكسب حب الامة الاسلامية ورضاها حتى تتخيل انه في الواقع خليفة للنبي (ص) وامين على شريعته وظل الله في الارض، وكان يصرّ على التجاهر بانه من اهل بيت النبي، ويحتل بالمغالطة مكان الائمة والاوصياء الحقيقيين لرسول الله (ص)، لانه يعلم مدى تعلّق المسلمين بأهل بيت النبوة، وقد سبق هذا ايضا سوء استغلال بني العباس لعقيدة الناس هذه فرفعوا شعار الدفاع عن آل النبي (ص) واستطاعوا اكتساح بني امية من السلطة.

يقول المنصور في احدى خطبه وقد ألقاها يوم عرفة: ايها الناس! انا الملك الوحيد على وجه الارض من قبل الله، وبتوفيق منه انا ادير اموركم، فأنا الامين على خزائن الله، وبيت المال تحت تصرفي، ولهذا فاني اعمل حسب ارادته واقسمه كما يحب، واعطي منه باذنه، وقد جعلني الله قفلا لخزائنه، ومتى ماشاء فانه يفتح هذا القفل حتى يعطيكم منه!...[٢٥]

ويقول في خطبة اخرى موجهة الى اهل خراسان: يا اهل خراسان!

---

٢٤ ــ جامع الرواة، ج ١ ص ٣٥٠ و ٤٥٧، ج ٢ ص ٢٤٧. تحفة الاحباب ص ١٧٩. منتهى الآمال ج ١ ص ١٩٥.

٢٥ ــ تاريخ الخلفاء ص ٢٦٣. الامام الصادق ج ٥ ص ٤٥.

ان الله قد اظهر حقنا، واعاد الينا ميراثنا (الخلافة) من النبي (ص)، فاستقر الحق في مكانه، واظهر الله نوره واعزّ اولياءه واهلك الظالمين...[٢٦]

فالمنصور كان يحاول اضفاء القدسية على نفسه بهذه الاساليب من خداع العامّة، وشخصيته الحقيقية لم تكن تختلف عن بني امية في السقوط والكفر والنفاق، ولكنه يبذل غاية جهده لاخفائها خلف هذه العناوين المتصنّعة، وكان يجهد نفسه في جلب الموافقة الظاهرية للامام الصادق عليه السلام ولو بالتهديد والتضييق، حتى يحافظ على شرعيته امام اعين الناس، ولكن الامام (ع) لم يكتف بعدم تأييده وانما فضح ــ بكل الاساليب التي تيسرت له ــ الهويّة الواقعية له ولجميع بني العباس:

فقد سأل الامامَ احدُ اصحابه: ان بعض شيعتكم يعيش في ضيق و عسر، و يُقترح عليه ان يبني لهم (بني العباس) بيتا أويشق لهم نهراً، و يأخذ على هذا اجراً، فما هو رأيكم في هذا العمل؟

فأجاب الامام (ع):

«انني لا احب ان اعقد لهم (لبني العباس) عقدة أو أخّط لهم خطا، حتى لو بذلو الي في مقابل ذلك اموالاً طائلة، لان من يعين الظالمين تنصب له يوم القيامة خيمة من النار حتى يحكم الله بين عباده»[٢٧].

و يقول الامام (ع) في الفقهاء:

«ان الفقهاء امناء الانبياء، فان وجدتموهم متجهين نحو السلاطين (اي يختلطون مع الظالمين ويتعاونون معهم) فأسيئوا الظن بهم ولا

---

٢٦ ــ مروج الذهب، ج ٣ ص ٣٠١.

٢٧ ــ الوسائل، ج ١٢ ص ١٢٩، نقلاً عن الكافي والتهذيب.

تطمئنوا اليهم»[٢٨].

وكان الامام (ع) يصرح بمهاجمة المنصور في لقاءاته ومكاتباته، ففي مرة كتب اليه المنصور رسالة يقول فيها:

لماذا لا تأتي الينا مثل الآخرين؟

فكتب اليه الامام جوابا يقول فيه:

«ليس لدينا من حطام الدنيا شيئ حتىٰ نخافك عليه، وليس لديك ايضا من المعنويات والآخرة شيئ حتىٰ نأملك به، فلا انت في نعمة حتىٰ نجيئك لنبارك لك، ولا انت ترىٰ نفسك في مصيبة وبلاء حتىٰ نأتي اليك لنعزيك ونسليك، فلأي شيئ نجيئك؟!»

فكتب اليه المنصور:

تعال حتىٰ تنصحنا:

فأجابه الامام:

«كل من كان من اهل الدنيا فانه لا ينصحك، وكل من كان من اهل الآخرة فانه لا يأتي اليك»[٢٩].

في يوم من الايام كان الامام في مجلس المنصور واخذت ذبابة تضايق المنصور وتؤذيه، وكلما حاول ابعادها عن نفسه فانها كانت تعود لتحط علىٰ وجهه، فالتفت المنصور للامام منزعجاً قائلاً له:

لماذا خلق الله الذباب؟!

فأجابه الامام من دون ارتباك:

---

٢٨ ــ كشف الغمة، ج ٢ ص ٤١٢. الامام الصادق ج ٣ ص ٢١، نقلا عن حلية الاولياء.

٢٩ ــ كشف الغمة ج ٢ ص ٤٤٨. البحار، ج ٤٧ ص ١٨٤.

«ليُذّل به الجبابرة».

فاهتز المنصور واطرق ساكتا متحيراً.[٣٠]

الامام (ع) في مقابل والي المدينة

يقول «عبدالله بن سليمان التميمي»:

عندما استشهد محمد وابراهيم وهما ولدان من اولاد عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام على ايدي الحكام العباسيين نصب المنصور الدوانيقي احد عملائه المسمى بـ «شيبة بن غفّال» والياً على المدينة، وجاء شيبة الى المدينة وخطب يوم الجمعه على المنبر في مسجد المدينة قائلا:

«ان علي بن ابي طالب قد اثار الاختلاف بين المسلمين وحارب اهل الايمان وكان يطلب الزعامة لنفسه ولا يتركها تصل الى اهلها، ولكن الله حرمه من السلطة، وها هم اولاده بعده يسلكون طريقه في الفساد ويطلبون الحكم، من دون ان تكون لهم اللياقة لذلك، ولهذا فانهم يقتلون في مختلف بقاع الارض ويتلطخون بدمائهم!».

فكبر كلام شيبة على انفس الناس ولكن احداً لم يستطع ان يقول له شيئا. وفي هذه الاثناء نهض رجل يرتدي ملابس صوفية وقال:

«اننا نحمد الله ونشكره و نصلي على محمد خاتم المرسلين وسيد الانبياء وعلى جميع الانبياء.

اما الحسنات التي ذكرتها فنحن اهل لها، واما السيئات التي جرت على لسانك فانك والمنصور اولى بها».

---

٣٠ ــ الفصول المهمة، ص ٢٣٦.

ثم التفت الىٰ الناس قائلا:

«ألا اعلمكم بمن يكون ميزان اعماله يوم القيامة افرغ من الجميع وهو من الأخسرين؟ انه من باع آخرته بدنيا الآخرين، وهذا الوالي الفاسق من جملة هؤلاء (اي انه باع آخرته بدنيا المنصور)...»

فهدأ الناس وخرج الوالي من المسجد من دون ان يرّد بشيٍ عليه. فسألت عن هذا الرجل الذي اسكت الوالي بهذه الحجة الداحضة؟ فقيل لي: انه الامام جعفر بن محمد الصادق (ع).[٣١]

الامام الصادق وزيد بن علي عليهما السلام:

ان زيداً هو ابن الامام الرابع زين العابدين عليه السلام، وهو شخصية اسلامية من الدرجة الاولىٰ ومن ارفع الناس علماً وتقىٰ وفضيلة.

وقد نهض زيد في اوج ارهاب الحكم الاموي وقاتل بشجاعة واستشهد بشرف. وتعدّ حياته المضيئة وتقواه الفائقة ثم نهضته واستشهاده اكبر دليل علىٰ ما لقيه من تربية مستقيمة بين اهل بيت العصمة والامامة من ابيه واخيه.

ويجمع علماء الاسلام علىٰ عظمته وتقواه وعلمه وفضيلته. وقد اثنىٰ ائمتنا (ع) في مجالات متعدّدة علىٰ فضيلة زيد وتقواه. وقد كانت عظمته كبيرة بحيث خصص لها الشيخ الصدوق رحمه الله بابا في كتابه «عيون اخبار الرضا ينقل فيه الروايات الواردة في هذا المضمار.[٣٢]

---

٣١ ــ امالي الشيخ الطوسي ص ٣١. البحار ج ٤٧ ص ١٦٥.

٣٢ ــ عيون اخبار الرضا، ج ١ ص ٢٤٨.

يقول الشيخ المفيد:

«وكان زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام عين اخوته (اي شريفهم وسيدهم) بعد ابي جعفر عليه السلام وافضلهم وكان عابداً ورعا فقيها سخيا شجاعا وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر»[٣٣].

يقول ابو الجارود زياد بن المنذر:

«قدمت المدينة فجعلت كلما سألت عن زيد بن علي عليه السلام قيل لي ذاك حليف القرآن»[٣٤].

يقول هشام: سألت خالد بن صفوان عن زيد بن علي عليه السلام وكان يحدثنا عنه، فقلت اين لقيته؟ قال بالرصافة. فقلت ايّ رجل كان؟ فقال: كان كما علمت يبكي من خشية الله حتىٰ يختلط دموعه بمخاطه».[٣٥].

«واعتقد كثير من الشيعة (الزيدية) فيه الامامة وكان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيف يدعو الىٰ الرضا من آل محمد صلىٰ الله عليه وآله، فظنّوه يريد بذلك نفسه، ولم يكن يريدها به لمعرفته باستحقاق اخيه عليه السلام للامامة من قبله ووصيته عند وفاته الىٰ ابي عبدالله (الامام الصادق) (ع).[٣٦]

---

٣٣ ــ الارشاد للمفيد، ص ٢٥١.

٣٤ ــ الارشاد للمفيد، ص ٢٥١.

٣٥ ــ الارشاد للمفيد، ص ٢٥١.

٣٦ ــ الارشاد للمفيد، ص ٢٥١.

نهضة زيد بن علي (ع)

سافر زيد بن علي الىٰ الشام قاصداً هشام بن عبدالملك الاموي ليشكو اليه والي المدينة المسمىٰ خالد بن عبدالملك، ولكن هشاماً لم يستقبل زيداً احتقاراً له، فكتب اليه زيد كتابا يوضح فيه اعتراضه ومطالبته بالعدالة، فلم يعرها هشام اية اهمية، وعلق علىٰ هامشها ان هذه الرسالة تعود الىٰ المكان الذي جاءت منه. فقال زيد:

«والله لن اعود»... وبقي فترة من الزمن في الشام حتىٰ اضطر هشام ليعيّن له وقتاللقائه، وأوعز هشام الىٰ جماعة من اهل الشام ان يحيطوا بزيد اثناء لقائه معه حتىٰ لا يستطيع زيد الاقتراب من هشام.

وعندما دخل زيد الىٰ مجلس هشام بدأ حديثه فوراً موجّهاً الخطاب الىٰ هشام:

«ليس بين عباد الله من هو ارفع من ان يُدعىٰ الىٰ التقوىٰ، وليس هناك من هو احطّ من ان يدعو الىٰ التقوىٰ، فأنا ادعوك الىٰ التقوىٰ، فكن خائفا من الله ورعاً».

فقال هشام بطريقة مهينة: «انك ترىٰ نفسك اهلاً للخلافة وتأمل في الحصول عليها، بينما انت لا تليق لها فلست سوىٰ ولد لأمة».

فأجاب زيد:

«ليس هناك منصب ارفع من النبوة، و بعض الانبياء مثل اسماعيل بن ابراهيم كان ابنا لأمة، ولو كانت هذه الامومة نقصاً لم يُبعث اسماعيل نبيا. فهل النبوة ارفع ام الخلافة؟ وعلاوة علىٰ هذا فمن كان آباؤه رسول الله (ص) وعلي بن ابي طالب (ع) فأيّ نقص يلحق به لو كانت والدته امة؟!».

وعندما سمع هشام هذا الجواب نهض من مكانه مغضبا وأمر باخراج زيد. وفي اثناء الخروج قال زيد:

«لم يكره قوم قط حرّالسيوف إلا ذلّوا».

ولمّا نُقل لهشام قول زيد عرف انه سوف يثور ضد الامويين، فقال هشام لاعضاء بلاطه:

انكم تتخيلون ان اهل هذا البيت (بيت اميرالمؤمنين علي عليه السلام) انقرضوا، لعمري ان بيتاً فيه مثل «زيد» لم ينقرض!».

فرحل زيد من الشام الىٰ الكوفة، وتجمّع حوله الشيعة وبايعوه، وقد بايعه من الكوفة وحدها خمسة عشر الف رجل، وبايعه كثير من اهل المدائن والبصرة وواسط وخراسان والري والموصل وسائر المدن، وعندئذ بدأ زيد نهضته.[٣٧]

وبدأ القتال بين الجانبين ولكن اصحاب زيد تخاذلوا عنه وداسوا بيعته تحت اقدامهم وانصرفوا عن نصرته، إلا ان زيداً صمد في المعركة وقاتل قتال الابطال مع انه لم يصمد معه إلا القليل، وبالتالي فقد اصابه سهم في جبهته، وبعد عدة ايام نال الشهادة في سبيل الله. وقد كان استشهاد زيد في شهر صفر عام (١٢٠) او (١٢١) للهجرة الشريفة.

وجاء بعض المحبين لزيد فدفنوا جسده ليلاً في نهر واجروا فيه الماء، ولكن الاعداء استطاعوا ان يكتشفوا مرقد زيد فنبشوا قبر ذلك الشهيد الجليل بحقارة ودناءة واستخرجوا جسده وقطعوا رأسه الشريف وفصلوه عن بدنه، وارسلوابرأسه الىٰ هشام في الشام، وعلقوا جسده عاريا ــ بأمر من هشام ــ مصلوباً في مزبلة الكوفة، وبقي علىٰ اعواد المشنقة عدة اعوام

---

٣٧ ــ المستفاد من عمدة الطالب ص ٢٢٨.

راية مرفوعة للشهادة، حتىٰ امر هشام بالتالي ان ينزلوا جسده من علىٰ المشنقة ثم احرقوه وذرّوا رماده في الهواء...[٣٨]

«ولـمّا قتل بلغ ذلك لابي عبدالله الصادق عليه السلام فحزن له حزنا عظيما حتىٰ بان عليه، وفرق من ماله في عيال من اصيب معه من اصحابه الف دينار، روىٰ ذلك ابوخالد الواسطي قال سلّم إلىّ ابوعبدالله عليه السلام الف دينار وامرني ان اقسمها في عيال من اصيب مع زيد...»[٣٩]

يقول فضيل الرسان:

«بعد استشهاد زيد ذهبت يوماً الىٰ الامام (ع) فجرىٰ حديث زيد فقال الامام:

«رحم الله زيداً لقد كان مؤمنا عارفا (اي معتقداً بامامتنا) عالماً صادقا، ولو كان قد انتصر لوفىٰ بوعده، فهو يعلم لمن لابدان تسلّم الخلافة»[٤٠] (بمعنىٰ انه كان يناضل من اجل ان يصل الامام الصادق (ع) الىٰ الخلافة، ولو كان قد حقق النصر لأعلن للناس من هو الخليفة الواقعي).

ويبدو من كلام الامام عليه السلام بوضوح تام ان نهضة زيد كانت من اجل استلام السلطة من الخلفاء الامويين الظلمة وتسليمها الىٰ الامام (ع)، وان زيداً كان مؤمنا بامامة الباقر والصادق عليهما السلام.

---

٣٨ ــ الارشاد للمفيد ص ٢٥٢. منتهىٰ الآمال ج ٢ ص ٣٤.

٣٩ ــ الارشاد للمفيد ص ٢٥٢.

٤٠ ــ رجال المامقاني ج ١ ص ٤٦٨، نقلا عن رجال الكشي.

قال الامام الثامن الرضا عليه السلام مخاطباً المأمون:

كان زيد من علماء آل محمد (ص)، وقد غضب لله وصارع اعداء الله حتىٰ نال الشهادة في سبيل الله، نقل لي ابي موسىٰ بن جعفر عليهما السلام عن ابيه جعفر بن محمد (ع) انه كان يقول: رحم الله عمي زيداً فانه كان يدعوا الناس الىٰ امامة آل محمد (ص)، ولو كان قد انتصر لوفىٰ بما دعا الناس اليه (اي اعطاء السلطة للامام الحق)، وقد شاورني في موضوع نهضته فقلت له: ياعم ان كنت ترضىٰ بان تقتل وتعلق علىٰ اعواد المشنقة فانهض».

فسأله المأمون: ألم يكن مدعيا للامامة؟

اجاب الامام: «كلا؟! و انما كان يدعو الناس الىٰ امامة آل محمد (ص)»[٤١].

ينقل الشيخ الصدوق (ره) عن زيد بن علي انه قال:

«في كل زمان يوجد فرد من آل محمد (ص) هوالامام وحجة الله، وفي زماننا هذا ابن اخي «جعفر بن محمد» هو حجة الله، فكل من اتبعه فانه لا يضل وكل من خالفه فانه لا يهتدي»[٤٢].

محاورات الامام الصادق (ع)

لقد استغل الامام الصادق الفرصة السانحة في اثناء السنين الاخيرة من حكم الامويين والاعوام الاولىٰ من تسلط العباسيين حيث كان الامويون والعباسيون منشغلين بالصراع والنزاع وترتب علىٰ ذلك بعض

---

٤١ ــ رجال المامقاني ج ١ ص ٤٦٨، عيون اخبار الرضا ج ١ ص ٢٤٩.

٤٢ ــ البحار ج ٤٧ ص ١٩، نقلاً عن امالي الصدوق.

التخفيف من الارهاب، فوسّع الامام (ع) نشاطه العلمي الديني واصبحت المدينة مركزاً علميا يستفيد فيه آلاف الباحثين المشتاقين في مختلف التخصصات من مجلس الامام سلام اللّه عليه. فطارت شهرة الامام العلمية في البلاد الاسلامية، واصبح درسه حديث العام والخاص حتىٰ في النقاط البعيدة من الوطن الاسلامي فجاء الطالبون للعلم والتُقىٰ من كل حدب وصوب ليكسبوا شيئا من بحر العلوم الالهية الحالّ في المدينة. وحتىٰ ان بعض المفكرين من غير المسلمين قصدوا المدينة ليدخلوا مع الامام (ع) في حوار علمي. وتعدّ اجوبة الامام في محاوراته للفرق المختلفة واصحاب العقائد المتنوعة من اروع صفحات التاريخ العلمي للعهد الاسلامي الاول.

ويبدو ان اجوبة الامام كانت تتناسب مع الظروف من زمان وطريقة تفكير السائل ومدىٰ استيعابه، ولهذا فان بعض اجوبته تبطل برهان المجادل فحسب وتدله علىٰ مواطن الضعف في دعواه، وبعضها يدفع السائل نحو التفكير والتعمق، بينما البعض الآخر مبني علىٰ الأسس العلمية والفلسفية بصورة كاملة...

وذكر جميع اجوبة الامام (ع) ومحاوراته يحتاج الىٰ كتاب ضخم، ونحن نختار في هذا الفصل بعض النماذج القصيرة من اجوبة الامام، وقد تم اختيارها بناءً علىٰ وضوحها وسهولة فهمها من قبل الشباب المتعطش للحقيقة، ثم نعرّج علىٰ التعريف بالرسالة التي وجهها الامام الصادق (ع) الىٰ «المفضل» في مجال التوحيد:

١ ــ قال احمد بن محسن الميثمي: كنت عند ابي منصور المتطبب فقال: اخبرني رجل من اصحابي قال: كنت انا وابن ابي العوجاء

وعبدالله بن المقفّع (وهما من اصحاب المذهب الدهري في ذلك الزمان) في المسجد الحرام، فقال ابن المقفع: ترون هذا الخلق ــ وأو مأبيده الىٰ موضع الطواف ــ مامنهم أحد اوجب له اسم الانسانية إلا ذلك الشيخ الجالس ــ يعني اباعبدالله جعفر بن محمد عليهما!السلام ــ فأما الباقون فرعاع وبهائم. فقال له ابن ابي العوجاء:

وكيف اوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟!

قال: لاني رأيت عنده ما لم اره عندهم (من العلم والفضل والكرامة).

فقال له ابن ابي العوجاء: لابد من اختبار ما قلت فيه منه،.

قال: فقال له ابن المقفّع: لا تفعل فاني اخاف ان يفسد عليك مافي يدك (اي انه يعيدك عن عقيدتك في انكار الله والدين).

فقال: ليس ذا رأيك ولكن تخاف ان يضعف رأيك عندي في احلالك اياه المحل الذي وصفت.

فقال ابن المقفّع: اما اذا توهمت عليّ هذا فقم اليه وتحفّظ ما استطعت من الزلل ولا تثني عنانك الىٰ استرسال فيسلمك الىٰ عقال وسمه مالك او عليك؟

قال: فقام ابن ابي العوجاء وبقيت انا وابن المقفع جالسين فما رجع الينا ابن ابي العوجاء قال: ويلك يا ابن المقفّع ما هذا ببشر، وان كان في الدنيا روحاني يتجسّد اذا شاء ظاهراً ويتروحّ اذا شاء باطنا فهو هذا، فقال له: وكيف ذلك؟

قال: جلست اليه فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال:

ان يكن الامر (اي الدين والايمان) علىٰ ما يقول هؤلاء (مشيراً

الىٰ المسلمين الذين هم في حال الطواف) ــ وهو علىٰ ما يقولون ــ (اى ان الله والدين والآخرة هي الحق) اي اهل الطواف، فقد سلموا وعطبتم. وان يكن الامر علىٰ ما تقولون (اي ليس هناك الٰه ولا آخرة)، وليس كما تقولون فقد استويتم وهم (اي ان المسلمين المعتقدين بالدين لم يتورطوا في مهلكة، لانه حتىٰ لو فرضنا فرض المستحيل انه لا يوجد الٰه ولا آخرة كما يتصور الدهريون وانه ينتهي بالموت كلّ شئ فلاحساب ولا كتاب فان المسلمين لم يخسروا شيئا وتصبح عاقبة الجميع واحدة).

فقلت له: يرحمك الله وايّ شئ نقول وايّ شئ يقولون؟ ما قولي وقولهم اِلا واحداً.

فقال: وكيف يكون قولك وقولهم واحداً؟ وهم يقولون:

ان لهم معاداً وثوابا وعقابا ويدينون بان في السماء الٰها وانها عمران وانتم تزعمون ان السماء خراب ليس فيها احد.

قال فاغتنمتها منه فقلت له:

ما منعه ان كان الامر كما يقولون ان يظهر لخلقه ويدعوهم الىٰ عبادته حتىٰ لا يختلف منهم اثنان ولم احتجب عنهم وارسل اليهم الرسل؟ ولو باشرهم بنفسه كان اقرب الىٰ الايمان به؟

فقال لي:

ويلك وكيف احتجب عنك من اراك قدرته في نفسك:

نشوءك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوتك، وسقمك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبك بعد بغضك، وبغضك بعد حبك، وعزمك

بعد أناتك، واناتك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك وغروب ما انت معتقده عن ذهنك، وما زال يعدّد عليّ قدرته التي هي في نفسي التي لا ادفعها حتىٰ ظننت انه سيظهر فيما بيني وبينه». [٤٣]

٢ ــ ان عبدالله الديصاني لم يكن معتقداً بالله سبحانه فجاء يوماً الىٰ بيت الامام الصادق (ع) فاستأذن عليه فأذن له فلمّا قعد قال له:

«يا جعفر بن محمد! دلّني علىٰ معبودي».

فقال له الامام (ع):

ما اسمك؟

فخرج عنه ولم يخبره باسمه. فقال له اصحابه:

كيف لم تخبره باسمك؟

قال: لو كنت قلت له: عبدالله، كان يقول:

من هذا الذي انت له عبد.

فقالوا له: عدُ اليه وقل له: يدلّك علىٰ معبودك ولا يسألك عن اسمك.

فرجع اليه فقال له:

يا جعفر بن محمد دلني علىٰ معبودي ولا تسألني عن اسمي.

فقال له الامام (ع):

اجلس واذا غلام له صغير في كفّه بيضة يلعب بها، فقال له

---

٤٣ ــ اصول الكافي ج ١ ص ٧٤، الحديث الثاني من كتاب التوحيد.

ابوعبدالله (ع): ناولني يا غلام البيضة فنا وله اياها فقال له ابوعبدالله(ع): يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة، فلا الذهبة المائة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة فهي علىٰ حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها لا يدري للذكر خلقت ام للأنثىٰ، تنفلق عن مثل الوان الطواويس أترىٰ لها مدبراً؟ قال:

فأطرق ملّياً ثم قال: اشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله وانك امام وحجة من الله علىٰ خلقه وانا تائب مما كنت فيه». [٤٤]

يقول هشام بن الحكم:

ان الامام الصادق (ع) قال للزنديق حين سأله عن الله سبحانه: «ما هو؟»

قال الامام (ع): هو شيئ بخلاف الاشياء، ارجع بقولي الىٰ اثبات معنىٰ وانه شيئ بحقيقة الشيئية (اي انه شيئ موجود في الواقع) غير انه لا جسم ولا صورة ولا يحسّ ولا يجسّ ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الاوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيّره الازمان، فقال له السائل:

فتقول: انه سميع بصير؟

قال: هو سميع بصير، سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه، ليس قولي: انه سميع يسمع بنفسه وبصير يبصر

---

٤٤ ــ اصول الكافي، ج ١، الحديث الرابع من كتاب التوحيد.

بنفسه انه شئ والنفس شئ آخر، ولكن اردت عبارة عن نفسي اذ كنتُ مسؤولاً وافهاماً لك اذ كنتَ سائلا، فأقول: انه سميع بكله، لا ان الكل منه له بعض، ولكني اردت افهامك والتعبيرعن نفسي وليس مرجعي في ذلك إلاّ الىٰ انه السميع البصير العالم الخبير بلااختلاف الذات ولا اختلاف المعنىٰ.

قال له السائل: فما هو؟

قال ابوعبدالله (ع):

هو الرب وهو المعبود وهو الله. وليس قولي الله، اثبات هذه الحروف. الف ولام وهاء، ولا راء ولا باء، ولكن ارجع الىٰ معنىٰ وشيئ خالق الاشياء وصانعها ونعت هذه الحروف وهو المعنىٰ سمي به الله والرحمان والرحيم والعزيز واشباه ذلك من اسمائه وهو المعبود جلّ وعزّ.

قال له السائل:

فانا لم نجد موهوماً إلا مخلوقا.

قال الامام (ع):

لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد عنا مرتفعا لانّا لم نكلّف غير موهوم، ولكنّا نقول: كل موهوم بالحواس مدرك به تحدّه الحواس وتمثّله فهو مخلوق، اذ كان النفي هو الابطال والعدم، والجهة الثانية: التشبيه، اذ كان التشبيه هو صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بد من اثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار اليهم انهم مصنوعون وان صانعهم غيرهم وليس مثلهم اذ كان مثلهم شبيها بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد اذ لم يكونوا

وتنقّلهم من صغر الىٰ كبر وسواد الىٰ بياض وقوة الىٰ ضعف واحوال موجودة لا حاجة بنا الىٰ تفسيرها لبيانها ووجودها.

قال له السائل:

فقد حدّدته اذ اثبتّ وجوده.

قال له ابوعبدالله (ع):

لم احدّه ولكني اثبتّه اذا لم يكن بين النفي والاثبات منزلة.

قال له السائل:

فله انيّة ومائيّة؟

قال: نعم لا يثبت الشيء إلا بانيّة ومائيّة.

قال له السائل:

فله كيفيّة؟

قال: لا لان الكيفيّة جهة الصفة والاحاطة ولكن لابد من الخروج من جهة التعطيل (النفي والانكار) والتشبيه (تشبيهه بغيره)، لان من نفاه فقد انكره ودفع ربوبيته وابطله، ومن شبهّه بغيره فقد اثبته بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقون الربوبية، ولكن لابد من اثبات ان له كيفية لا يستحقّها غيره ولا يشارك فيها ولا يحاط بها ولا يعلمها غيره.

قال السائل: فيعاني الاشياء بنفسه؟

قال ابوعبدالله (ع): هو اجلّ من ان يعاني الاشياء بمباشرة ومعالجة (اي القيام بالاعمال بواسطة البدن والاعضاء) لان ذلك صفة المخلوق الذي لاتجيئ الاشياء له إلا بالمباشرة والمعالجة، وهو متعال نافذ الارادة

والمشيئه، فعّال لما يشاء».[٤٥]

رسالة في التوحيد للمفضّل

ان كتاب «توحيد المفضّل» يضمّ مواضيع مهمّة ونافعة في مجال خلق الانسان والعالم واثبات وجود الله تعالىٰ وقدرته وعلمه وحكمته، حيث بينها الامام الصادق عليه السلام للمفضل خلال اربعة مجالس وقد اذن الامام (ع) للمفضّل ان يكتبها.

وتعدّ هذه الرسالة ــ التي ترجمها العلامة المجلسي وغيره من العلماء الىٰ اللغة الفارسية[٤٦] ــ مفيدة للجميع، وتهم كل الباحثين والراغبين في الاطلاع علىٰ مسائل التوحيد والمتأملين في آيات العظمة الالهية.

والسيد بن طاووس يوصي ابنه في «كشف المحجة» بان يقرأ هذه الرسالة بعمق[٤٧]، ويقول في مجال آخر: ان كل من يسافر لا بد له من مجموعة من الكتب ترافقه، ومن اهمّهاتوحيد المفضّل[٤٨].

ونتناول هنا هذه الرسالة باختصار ونذكر بعض فقرات منها بمقدار ما يسعه المجال:

يقول المفضل في مقدمة هذه الرسالة:

«كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر وانا مفكر فيما خص الله تعالىٰ به سيدنا محمداً صلىٰ الله عليه وآله من الشرف والفضائل وما منحه واعطاه وشرفه وحباه مما لا يعرفه الجمهورمن

---

٤٥ ــ اصول الكافي، ج ١ ص ٨٣.

٤٦ ــ من جملتها ترجمة وتلخيص علي اصغر فقهي، وقد طبعت عدة مرات.

٤٧ ــ كشف المحجة ص ٩.

٤٨ ــ امان الاخطار ص ٧٨.

الامة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته، وخطير مرتبته، فاني لكذلك اذا أقبل «ابن ابي العوجاء» (وهو من زنادقة ذلك الزمان) فجلس بحيث اسمع كلامه فلما استقر به المجلس اذ رجل من اصحابه قد جاء فجلس اليه، فتكلم ابن ابي العوجاء بكلام يدور حول النبي (ص)... ثم بعد هذا جرىٰ الحديث عن مبدع العالم وخالقه وانتهىٰ بهما المطاف الىٰ انه لا خالق ولا مدبر لهذا العالم، وكل شيء يجيء من الطبيعة، وعلىٰ هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال!

يقول ألمفضل: فلم املك نفسي غضبا وغيظا وحنقا فقلت: يا عدو الله الحدت في دين الله وانكرت الباري جل قدسه الذي خلقك في احسن تقويم وصورك في اتم صورة ونقلك في احوالك حتىٰ بلغ الىٰ حيث انتهيت.

فلو تفكرت في نفسك وصدقك لطيف حسك لوجدت دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة، وشواهده جل وتقدس في خلقك واضحة، وبراهينه لك لائحه.

فقال يا هذا ان كنت من اهل الكلام (اي من اهل البحث في العقائد والمتمرسين في النقاش والجدل) كلمناك ، فان ثبتت لك حجة تبعناك ، وان لم تكن منهم فلا كلام لك، وان كنت من اصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا تخاطبنا، ولا بمثل دليلك تجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا اكثر مما سمعت، فما افحش في خطابنا، ولا تعدىٰ في جوابنا، وانه الحليم الرزين، العاقل الرصين لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا، ويصغي الينا ويتعرف حجتنا، حتىٰ اذا استفرغنا ما عندنا وظننّا انا قطعناه دحض حجتنا بكلام يسير وخطاب

قصير، يلزمنابه الحجة ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه رداً، فان كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه.

يقول المفضل: فخرجت من المسجد محزونا مفكراً فيما بلي به الاسلام واهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها، فدخلت علىٰ مولاي (الصادق) عليه السلام فرآني منكسراً، فقال: مالك؟ فأخبرته بما سمعت من الدهريين وبما رددت عليهما.

فقال: يا مفضّل لألقين عليك من حكمة الباري جل وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام وكل ذي روح من الانعام والنبات والشجرة المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب والبقول، المأكول من ذلك وغير المأكول ما يعتبر به المعتبرون ويسكن الىٰ معرفته المؤمنون، ويتحيّر فيه الملحدون فبكّر عليّ غداً.

يقول المفضل: فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً وطالت عليّ تلك الليلة انتظاراً لما وعدني به.

المجلس الاول

فلما اصبحت غدوت فاستئذن لي فدخلت وقمت بين يديه فأمرني بالجلوس فجلست ثم نهض الىٰ حجرة كان يخلو فيها ونهضت بنهوضه، فقال اتبعني فتبعته فدخل ودخلت خلفه، فجلس وجلست بين يديه، فقال: يا مفضّل كأني بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك، فقلت: اجل يا مولاي، فقال: يا مفضل ان الله تعالىٰ كان ولا شيء قبله، وهو باق ولا نهاية له، فله الحمد علىٰ ما الهمنا والشكر علىٰ ما منحنا، فقد خصّنا من العلوم بأعلاها، ومن المعالي بأسناها، واصطفانا علىٰ جميع الخلق بعلمه وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه، فقلت يا

مولاي أتأذن لي ان اكتب ما تشرحه ــ وكنت اعددت معي ما اكتب فيه ــ فقال لي: افعل يا مفضل.

ان الشكّاك جهلوا الاسباب والمعاني في الخلقة، قصرت افهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جل قدسه وبرأمن صنوف خلقه في البر والبحر والسهل والوعر فخرجوا بقصر علومهم الىٰ الجحود وبضعف بصائرهم الىٰ التكذيب والعنود حتىٰ انكروا خلق الاشياء وادعوا ان تكنوّها بالاهمال، لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبر ولا صانع، تعالىٰ الله عما يصفون وقاتلهم الله انىٰ يؤفكون، فهم في ضلالهم وغيّهم وتجبرهم بمنزلة عميان دخلوا دارا قد بُنيت أتقىٰ بناء واحسنه وفُرشت بأحسن الفرشي وأفخره، واعدّ فيها ضروب الاطعمة والاشربة والملابس والمآرب التي يحتاج اليها ولا يستغنىٰ عنها، ووضع كل شئ من ذلك موضعه علىٰ صواب من التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا يترددّون فيها يميناً وشمالا ويطوفون بيوتها ادباراً واقبالا، محجوبة ابصارهم عنها، لا يبصرون بنية الدار، وما اعدّ فيها وربما عثر بعضهم بالشئ الذي قد وضع موضعه واعدّ للحاجة اليه وهو جاهل للمعنى فيه ولما اعد ولماذا جعل كذلك! فتذمّر وتسخط وذمّ الدار وبانيها.

فهذه حال هذاالصنف في انكارهم ما انكروا من امر الخلقة وثبات الصنعة. فانهم لما عزبت اذهانهم عن معرفة الاسباب والعلل في الأشياء، صاروا يجولون في هذا العالم حيارىٰ، فلا يفهمون ما هو عليه من اتقان خلقته وحسن صنعته وصواب هيئته، وربما وقف بعضهم علىٰ الشئ يجهل سببه والأرب فيه فيسرع الىٰ ذمّه ووصفه بالاحالة والخطأ...»

ويواصل الامام (ع) حديثه ببيان كيفية خلقة الانسان والحكم المتنوعة الكامنة فيها والنعم الالهية المتعلقة بها، ونكتفي بهذا المقدار من المجلس الاول رعاية للاختصار، لننتقل الآن لذكر فقرات من المجلس الثاني.

المجلس الثاني

يا مفضّل... تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان، حين خلقت ذوات اسنان حداد وبراثن شداد واشداق وافواه واسعة، فانه لما قدر ان يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك واعينت بسلاح وادوات للصيد، وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخالب مهيئة لفعلها، ولوكانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد اعطيت ما لاتحتاج اليه، لانها لا تصيد ولا تأكل الحم، ولو كانت السباع ذوات اظلاف كانت قد منعت ما تحتاج اليه، أعني السلاح الذي تصيد به وتتعيش. أفلا ترىٰ كيف اعطىٰ كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته. بل ما فيه بقاؤه وصلاحه.

انظر الآن الىٰ ذوات الاربع كيف تراها تتبع امهاتها مستقلة بأنفسها لاتحتاج الىٰ الحمل والتربية كما تحتاج اولاد الانس، فمن اجل انه ليس عند امهاتها ما عند امهات البشر من الرفق والعلم بالتربية، والقوة عليها بالأكف والاصابع المهيأة لذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها وكذلك ترىٰ كثيراً من الطير كمثل الدجاج والدرّاج والقبج تدرج وتلقط حين تنقاب عنها البيضة. فأما ما كان منها ضعيفا لانهوض فيه، كمثل فراخ الحمام واليمام والحمر فقد جعل في الامهات فضل عطف عليها، فصارت تمجّ الطعام في افواهها بعدما توعيه

حواصلها، فلا تزال تغذوها حتىٰ تستقل بأنفسها، ولذلك لم ترزق الحمام فراخا كثيرة مثل ما ترزق الدجاج، لتقوىٰ الام علىٰ تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت، فكلا اعطىٰ بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير...».

المجلس الثالث

«... وانبئك عن الهواء بخلة اخرىٰ، فان الصوت أثر يؤثره اصطكاك الاجسام في الهواء، والهواء يؤدّيه الىٰ المسامع، والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم، فلوكان اثر هذا الكلام يبقىٰ في الهواء، كما يبقىٰ الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه فكان يكربهم ويفدحهم، وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به الىٰ اكثر مما يحتاج اليه في تجديد القراطيس، لان ما يلفظ من الكلام اكثر مما يكتب، فجعل الخلاّق الحكيم جلّ قدسه هذا الهواء قرطاساً خفيا يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم، ثم يمحىٰ فيعود جديداً نقيّا، ويحمل ما حمل ابداً بلاانقطاع، وحسبك بهذا النسيم المسمىٰ هواء عبرة وما فيه من المصالح فانه حياة هذه الابدان والممسك لها من داخل بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه، وفيه تطرد هذه الاصوات فيؤدي البعد البعيد. وهو الحامل لهذه الارواح ينقلها من موضع الىٰ موضع... ألا ترىٰ كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح، فكذلك الصوت، وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يتعاقبان علىٰ العالم لصلاحه، ومنه هذه الريح الهابة فالريح تروح عن الاجسام وتزجي السحاب من موضع الىٰ موضع ليعم نفعه حتىٰ يتكثّف فيمطر، وتفضه حتىٰ يستخف فيتفشىٰ، وتلقح الشجر، وتسير السفن، وترخي

الاطعمة وتبرد وتشب النار وتجفف الاشياء الندية، وبالجملة انها تحيي كل ما في الارض... فلولا الريح لذوىٰ النبات ولمات الحيوان وحمت الاشياء وفسدت».

«...فكر في ضروب من التدبير في الشجر، فانك تراه يموت في كل سنة موتة، فتحتبس الحرارة الغريزية في عوده، ويتولد فيه مواد الثمار ثم يحيى وينتشر، فيأتيك بهذه الفواكه نوعاً بعد نوع، كما تقدم اليك انواع الأطبخة التي تعالج بالايدي واحداً بعد واحد، فترىٰ الاغصان في الشجر تتلقاك بثمارها حتىٰ كأنها تناولكها عن يد، وترىٰ الرياحين تتلقاك في أفنانها كأنها تحيئك بأنفسها، فلمن هذا التقدير إلاّ لمقدّر حكيم، وما العلّة فيه إلا تفكيه الانسان بهذه الثمار والانوار؟ والعجب من اناس جعلوا مكان الشكر علىٰ النعمة جحود المنعم بها. واعتبر بخلق الرمانة وما ترىٰ فيها من اثر العمد والتدبير فانك ترىٰ فيها كأمثال التلال، من شحم مركوم في نواحيها وحب مرصوف صفّاً كنحو ما ينضد بالأيدي. وترىٰ الحب مقسوماً اقساماً، وكل قسم منها ملفوفاً بلفائف من حجب منسوجة أعجب النسج والطفه، وقشره يضمّ ذلك كله.

فمن التدبير في هذه الصنعة انه لم يكن يجوز ان يكون حشو الرمانة من الحب وحده، وذلك لان الحب لا يمدّ بعضه بعضا، فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمدّه بالغذاء، ألا ترىٰ ان اصول الحب مركوزة في ذلك الشحم، ثم لف بتلك اللفائف لتضّمه وتمسكه فلا يضطرب، وغشى فوق ذلك بالقشرة المستحصفة لتصونه وتحصنه من الآفات، فهذا قليل من كثير من وصف الرمانة، وفيه اكثر من هذا لمن اراد الاطناب والتذرع في الكلام، ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار».

المجلس الرابع

«قد شرحت لك يا مفضّل من الأدلة علىٰ الخلق، والشواهد علىٰ صواب التدبير والعمد في الانسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر، وانا اشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الازمان التي اتخذها اناس من الجهال ذريعة الىٰ جحود الخلق والخالق والعمد والتدبير، وما انكرت المعطلّة والمنانية من المكاره والمصائب وما انكروه من الموت والفناء، وما قاله اصحاب الطبائع، ومن زعم ان كون الاشياء بالعرض والاتفاق، ليتسع ذلك القول في الردّ عليهم قاتلهم الله انىٰ يؤفكون.

اتخذ اناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الازمان ــ كمثل الوباء واليرقان والبرد والجراد ــ ذريعة الىٰ جحود الخالق والتدبير والخلق، فيقال في جواب ذلك: انه ان لم يكن خالق ومدبر فلمَ لا يكون ما هو اكثر من هذا وافظع؟ فمن ذلك ان تسقط السماء علىٰ الارض، وتهوي الارض فتذهب سفلا، تتخلّف الشمس عن الطلوع اصلاً، وتجف الانهار والعيون حتىٰ لا يوجد ماء للشفة، وتركد الريح، حتىٰ تخم الاشياء وتفسد، ويفيض، ماء البحر علىٰ الارض فيغرقها، ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء والجراد وما اشبه ذلك ما بالها لا تدوم وتمتد، حتىٰ تجتاح كل ما في العالم، بل تحدث في الاحايين ثم لا تلبث ان ترفع. افلا ترىٰ ان العالم يصان ويحفظ من تلك الاحداث الجليلة التي لوحدث عليه شيء منها كان فيه بواره ويلذع احيانا بهذه الآفات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم، ثم لا تدوم هذه الآفات، بل تكشف عنهم عند القنوط منهم، فيكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة.

وقد انكرت المنانية من المكاره والمصائب التي تصيب الناس، فكلاهما يقول: ان كان للعالم خالق رؤوف رحيم فلمَ تحدث فيه هذه الامور المكروهة... والقائل بهذا القول يذهب الىٰ انه ينبغي ان يكون عيش الانسان في هذه الدنيا صافيا من كل كدر، ولو كان هكذا كان الانسان يخرج من الاشر والعتو الىٰ ما لا يصلح في دين ولا دنيا كالذي ترىٰ كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والأمن، يخرجون اليه حتىٰ ان احدهم ينسىٰ انه بشر وانه مربوب أو أن ضرراً يمسه او ان مكروها ينزل به او انه يجب عليه ان يرحم ضعيفا، أو يواسي فقيراً أو يرثي لمبتلىٰ او يتحنَّن علىٰ ضعيف أو يتعطّف علىٰ مكروب، فاذا عضته المكاره ووجد مضضها اتعظ وابصر كثيرا مما كان جهله وغفل عنه، ورجع الىٰ كثير مما كان يجب عليه.

والمنكرون لهذه الامور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمّون الادوية المرّة البشعة، ويتسخطون من المنع من الاطعمة الضارّة، ويتكرهون الأدب والعمل، ويحبّون ان يتفرّغوا للهو والبطالة وينالوا كل مطعم ومشرب، ولا يعرفون ماتؤديهم اليه البطالة من سوء النشو والعادة، وما تعقبهم الاطعمة اللذيذة الضارة من الادواء والاسقام، وما لهم في الادب من الصلاح وفي الادوية من المنفعة، وان شاب ذلك بعض الكراهة...».

الارتباط بعالم الغيب

لا شك ان ائمتنا الطاهرين ــ الذين هم حقّا اوصياء النبي الكريم

---

٥ ــ كتاب توحيد المفضل، مع بعض التغيير في العبارات.

صلىٰ الله عليه وآله وسلم ووارثي العلوم الالهية ــ يتمتعون بميزات خاصة وهبها الله سبحانه للأنبياء واوليائه الخاصين. ومن تلك الميزات الارتباط بخالق الكون والتمتع بعلوم غيبية معينة لا ترتفع اليها الاوهام والخيال، وهي بعيدة عن الكذب وعدم الصحة كما هو شأن الوحي للأنبياء، مع فرق واحد وهو ان الائمة والاوصياء لم يكونوا انبياء ولم يأتوا بدين جديد وانماهم مبلغون وحافظون لدين النبي (ص) وهم قادة الامة، وذلك كما قال النبي (ص) لعلي اميرالمؤمنين:

«انت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا انه لابني بعدي».

وقد وردت في الروايات الاسلامية نماذج كثيرة من هذا العلوم التي هي فوق القدرة العادية لكل واحد من ائمتنا (ع) بحيث لا تبقي لدىٰ اي مسلم واع غير مريض القلب ايّ شك في ان هؤلاء الكرام معتمدون علىٰ علم الهي عميق، وكلما حانت الفرصة وكان من الصالح الكشف فانهم يكشفون جانبا من معلوماتهم الغيبية من اجل هداية الاتباع.

ونذكرهنا بعض النماذج للعلوم الغيبية للامام الصادق:

١ ــ بعد ان استشهد زيد بن علي عليهماالسلام فرّ يحيى ــ وهو الابن الاكبر لزيد ــ الىٰ ايران متخفيًا، وبعد مرور فترة من الزمن جمع حوله مجموعة من المريدين ثم ثار علىٰ الخليفة الاموي، وقاتل بشجاعة قليلة النظير ثم استشهد بشرف ورجولة، وقد صُلب جسده كما فعلوا بأبيه زيد وبقي معلّقاً علىٰ المشنقة سنين حتىٰ نهض ابومسلم فأنزل جسد يحيىٰ من المشنقة ودفنه باحترام وتكريم.

وفي خلال الايام التي كان يحيىٰ يتحرك فيها نحو خراسان واجه شخصا من الشيعة يسمىٰ «المتوكل بن هارون» وقد كان عائداً من سفر

الحج الذي لقي فيه الامام الصادق (ع) في المدينة.

يقول المتوكل: سلمت عليه، فسألني: من اين انت قادم؟

قلت: من الحج. فسألني عن احوال اهل بيته وابناء عمومته وعن وضع الامام الصادق (ع)، فأخبرته بما اعلم وبيّنت له ما اعتراهم من حزن وغم اثر استشهاد والده زيد.

فقال: هل لقيت ابن عمي جعفر بن محمد عليه السلام؟

قلت: نعم.

قال: هل تحدث عن شيء حولي؟

قلت: نعم.

قال: اذكر لي ما قاله عني.

قلت: لست احب ان او اجهك بما سمعته من الامام (ع).

قال: أبالموت ترهبني؟! قل ما سمعت.

قلت: ان الامام يقول انك سوف تقتل ايضا وسوف تعلق ــ مثل ابيك ــ على المشنقة...».

وبعد حديث استمر قليلا اخرج يحيى نسخة من الصحيفة السجادية كانت ترافقه فأودعها عند المتوكل واوصاه ان يوصلها الى بعض اهله في المدينة ثم قال:

«والله لو لم يقل ابن عمي الصادق عليه السلام انني سوف اقتل وتعلّق جثتي على المشنقة لما اودعتك هذه الصحيفة... لكني اعلم ان قوله حق وقد استقاه من آبائه عليهم السلام».[٤٩]

---

٤٩ ــ منتهى الآمال فصل حياة الامام السجاد (ع) قسم مقتل يحيى بن زيد. وكذا في مقدمة الصحيفة السجادية في اكثر طبقاتها.

ولم يمرّ وقت طويل حتىٰ تحقق ما قاله الامام الصادق (ع) عنه.

٢ ــ يقول صفوان بن يحيىٰ عن جعفر بن محمد بن الاشعث قال: «قال لي: أتدري ما كان سبب دخولنا في هذا الامر (اي التشيع) ومعرفتنا به؟ وما كان عندنا منه ذكر ولا معرفة شيء مما عند الناس. قال: قلت له ما ذاك ؟ قال: ان ابا جعفر ــ يعني ابا الدوانيق ــ (المنصور الدوانيقي) قال لابي، محمد بن الاشعث، يا محمد ابغ لي رجلاً له عقل يؤدي عني، فقال له ابي: قد اصبته لك هذا فلان بن مهاجر خالي: قال: فاتني به. قال فأتيته بخالي فقال له ابوجعفر: يا ابن مهاجر خذ هذا المال وأت المدينة وأت عبدالله بن الحسن بن الحسن وعدّة من اهل بيته فيهم جعفر بن محمد فقل لهم: اني رجل غريب من اهل خراسان وبها شيعة من شيعتكم وجهوا اليكم بهذا المال، وادفع الىٰ كل واحد منهم علىٰ شرط كذا وكذا، فاذا قبضوا المال فقل: اني رسول وأحب ان يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم، فأخذ المال واتىٰ المدينة فرجع الى ابي الدوانيق ومحمد بن الاشعث عنده، فقال له ابوالدوانيق ماوراءك ؟ قال: اتيت القوم وهذه خطوطهم بقبضهم المال خلا جعفر بن محمد، فاني اتيته وهو يصلي في مسجد الرسول (ص) فجلست خلفه وقلت حتىٰ ينصرف فاذكر له ما ذكرت لأصحابه، فعجّل وانصرف، ثم التفت الىّ فقال: يا هذا اتق الله ولا تغرّ اهل بيت محمد فانهم قريب العهد بدولة بني مروان وكلهم محتاج. فقلت: وما ذاك اصلحك الله؟ قال: فأدنىٰ رأسه مني واخبرني بجميع ماجرىٰ بيني وبينك كأنه كان ثالثنا. قال: فقال له ابوجعفر: يا ابن مهاجر! اعلم انه ليس من اهل بيت نبوة إلا وفيه محدّث وان جعفر بن محمد محدثّنا اليوم، وكانت هذه الدلالة سبب

قولنا بهذه المقالة».[٥٠]

٣ ــ يقول ابوبصير: سمعت ابا عبدالله (ع) يقول وقد جرىٰ ذكر المعلىٰ بن خنيس فقال يا ابا محمد اكتم علي ما اقول لك في المعلىٰ. قلت: افعل. فقال: اما انه ما كان ينال درجتنا إلا بما كان ينال منه داوود بن علي، قلت: وما الذي يصيبه من داوود؟ قال: يدعو به فيأمر به فيضرب عنقه ويصلبه وذلك من قابل، فلما كان من قابل ولي داوود المدينة فدعا المعلىٰ وسأله عن شيعة ابي عبدالله فكتمه. فقال: أتكتمني اما انك ان كتمتني قتلتك. فقال المعلىٰ: أبا لقتل تهددني والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعت قدمي عنهم وان انت قتلتني لتسعدني ولتشقين. فلما اراد قتله قال المعلىٰ: اخرجني الىٰ الناس فأن لي اشياء كثيرة حتىٰ اشهد بذلك، فأخرجه الىٰ السوق فلما اجتمع الناس قال: ايهاالناس اشهدوا ان ما تركت من مال عين أو دين أو أمة أو عبد أو دار أو قليل أو كثير فهو لجعفر بن محمد فقتل»[٥١].

٤ ــ يقول علي بن حمزة: كان لي صديق من كبار بني امية فقال لي: استأذن لي علىٰ ابي عبدالله، فاستأذنت له فلما دخل سلم وجلس ثم قال: جعلت فداك إني كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً واغمضت في مطالبه، فقال ابوعبدالله: لولا ان بني امية وجدوا من يكتب لهم ويجبي لهم الفيء ويقاتل عنهم و يشهد جماعتهم لما

---

٥٠ ــ الكافي ج ١، ص ٤٧٥. بصائر الدرجات ص ٢٤٥. المناقب ج ٤ ص ٢٢٠. البحار ج ٤٧ ص ٧٤ نقلا عن هذه الكتب الثلاثة المذكورة وخرائج الراوندي.

٥١ ــ المناقب ج ٤ ص ٢٢٥. البحار ج ٤٧ ص ١٢٩

سلبونا حقنا ولو تركهم الناس وما في ايديهم ما وجدوا شيئا إلا ما وقع في ايديهم، فقال الفتىٰ: جعلت فداك فهل لي من مخرج منه؟ قال: ان قلت لك تفعل؟ قال افعل. قال: اخرج من جميع ما كسبت في دواوينهم فمن عرفت منهم رددت عليه ما له ومن لم تعرف تصدقت به وانا اضمن لك على الله الجنة.

قال: فأطرق الفتىٰ طويلا فقال: قد فعلت جعلت فداك. قال ابن ابي حمزة فرجع الفتىٰ الىٰ الكوفة فما ترك شيئا علىٰ وجه الارض إلاخرج منه حتىٰ ثيابه التي كانت علىٰ بدنه. قال فقسمنا له قسمة واشترينا له ثيابا وبعثنا له بنفقة، قال فما اتىٰ عليه اشهر قلائل حتىٰ مرض فكنا نعوده. قال فدخلت عليه يوماً وهو في السياق ففتح عينيه ثم قال: يا علي وفىٰ والله صاحبك. قال: ثم مات فولينا امره فخرجت حتىٰ دخلت علىٰ ابي عبدالله فلما نظر الي قال: يا علي وفينا لصاحبك قال فقلت: صدقت جعلت فداك هكذا قال لي والله عند موته».[٥٢]

٥ ــ يقول سدير الصيرفي: دخلت علىٰ ابي عبدالله وقد اجتمع علىٰ مالي بيان فأحببت دفعه اليه وكنت حبست منه ديناراً لكي أعلم اقاويل الناس فوضعت المال بين يديه فقال لي: يا سدير خنتنا ولم ترد بخيانتك ايانا قطيعتنا. قلت: جعلت فداك وما ذلك؟ قال: اخذت شيئا من حقنا لتعلم كيف مذهبنا. قلت: صدقت جعلت فداك انما اردت ان اعلم قول اصحابي. فقال لي: اما علمت ان كل مايحتاج اليه نعلمه وعندنا ذلك اما سمعت قول الله تعالىٰ «وكل شيء احصيناه في

---

٥٢ ــ البحار ج ٤٧ ص ١٣٨. المناقب ج ٤ ص ٢٤٠.

امام مبين) اعلم ان علم الانبياء محفوظ في علمنا مجتمع عندنا وعلمنا من علم الانبياء فاين يذهب بك ؟ قلت صدقت جعلت فداك »[٥٣].

اصحاب الامام (ع) وتلامذته

كما ذكرنا من قبل فان الحكام الامويين والعباسيين كانوا يراقبون ائمتنا الكرام بدقّة وعنف ويضبطون تحركاتهم، وحتىٰ انهم في بعض الاحيان يحولون دون اتصال الناس بهم، وفي نفس الوقت فانه بسبب الضعف وشدة الصراعات والانشغالات التي ابتليت بها حكومة بني امية في اواخر عهدهم وحكومة بني العباس في اوائل تسلطهم فقد استغل هذه الفرصة السانحة المحبون والمريدون ليستفيدوا من مجلس الامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام وينالوا شيئا من علومهما.

وان شوق الباحثين وطلاب الدين للاستفادة من ثمار علوم الائمة عليهم السلام كان شديداً الىٰ الحدّ الذي لم يتوقف عند هذه الفرصة المواتية وانما كانوا يوصلون انفسهم الىٰ الامام (ع) في اصعب ظروف الارهاب والقسوة بشكل أو بآخر بأية صورة ممكنة ليحققوا رغبتهم في اقتطاف عنقود من شجرة كمالاتهم...

وقد تربىٰ في مدرسة الامام الصادق تلامذة كثيرون اكتسبوا العلوم والمعارف الاسلامية في مختلف المجالات ونقلوها بدورهم الىٰ من يتلقاها منهم، ويذكر الشيخ الطوسي (ره) في كتاب الرجال اسماء ما يناهز اربعة آلاف راوٍ وطالب اكتسبوا العلم أو رووا عن الامام الصادق (ع)،

---

٥٣ ــ المناقب ج ٤ ص ٢٢٨. البحار ج ٤٧ ص ١٣٠.

ولكي نكرّم منزلة هؤلاء الرفيعة ونقدّر جهودهم في سبيل نقل العلوم والمعارف الاسلامية الىٰ الاجيال اللاحقه نذكرهنا باختصار ثلاثة من اولئك الافذاذ:

١ ــ حمران بن اعين الشيباني:

ان عائلة ابن اعين هي بصورة عامة من خواص شيعة الائمة عليهم السلام ومن العاشقين لأهل بيت الرسالة، وقد كان حمران واخوه زراة كلاهما من المع الشخصيات الشيعية ومن ابرز علماء وفقهاء عصرهما ومن اقرب اصحاب الامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام.

يقول الامام الصادق (ع): ان حمران بن اعين رجل ذو ايمان، ووالله انه لن يرجع عن دينه. ويقول ايضا: ان حمران من اهل الجنة.[٥٤]

يقول زرارة: جئت الىٰ المدينة في ايام شبابي وحضرت موسم الحج في منىٰ وذهبت الىٰ خيمة الامام الباقر عليه السلام فسلمت عليه فردّ علي السلام، وعندما جلست بين يديه قال (ع) هل انت من ابناء اعين؟

قلت: نعم انا زرارة بن اعين

قال: عرفتك بالتشبيه. فهل جاء الىٰ الحج اخوك حمران؟

قلت: كلا، إلا انه يبلغك السلام.

قال: انه من المؤمنين الواقعيين الذين لن يرجعوا عن دينهم اطلاقا، فاذا لقيته فأبلغه سلامي.[٥٥]

---

٥٤ ــ رجال الكشي ص ١٧٦.

٥٥ ــ رجال الكشي ص ١٧٨.

يقول حمران نفسه: قلت للامام الباقر عليه السلام:

هل انا من شيعتكم؟

قال: نعم انك والله من شيعتنا في الدنيا والآخرة...[٥٦]

يقول اسباط بن سالم: قال موسىٰ بن جعفر عليهما السلام: ينادىٰ في القيامة اين الحواريون ــ الاصحاب المقربون ــ لرسول الله محمد بن عبدالله صلىٰ عليه وآله الذين لم ينقضوا عهدهم وقد رحلوا عن هذه الدنيا وهو برفقتهم؟

فينهض سلمان وابوذر والمقداد.

ثم يدعىٰ بالاصحاب المقربين وخاصة كل واحد من الائمة (ع) فينهض افراد معينون حتىٰ يصل الدور فيدعىٰ اصحاب الامام الخامس والامام السادس فينهض:

عبدالله بن شريك العامري وزرارة بن اعين وبريد بن معاوية ومحمد بن مسلم وابوبصير المرادي وعبدالله بن ابي يعفور وعامر بن عبدالله وحجر بن زايدة وحمران بن اعين.[٥٧]

يقول صفوان: كان حمران يجالس اصحابه ويروي دائماً عن الائمة (ع) وان نقل مجالسوه حديثاً عن غير الائمة (ع) فانه لا يقبله، وان تكرر هذا الامر (نقل الحديث عن غيرهم) ثلاث مرات ولم يلتفتوا الىٰ اعتراضه فانه كان يغادر ذلك المجلس.[٥٨]

---

٥٦ ــ رجال الكشي ص ٤٦٢.

٥٧ ــ رجال الكشي ص ١٠.

٥٨ ــ رجال الكشي ص ١٠.

يقول يونس بن يعقوب: كان حمران يعرف علم الكلام (العقائد) بصورة جيدة.[٥٩]

يقول هشام بن سالم:

كنّا انا ومجموعة من اصحاب الامام الصادق عليه السلام جالسين بين يدي الامام فدخل علينا رجل من اهل الشام... فقال له الامام: ماذا تريد؟

قال: سمعت انك تعلم كل ما تُسأل به، ولهذا جئت اليك لا فتح معك حواراً.

قال الامام: حول ايّ شئ؟

قال: حول القرآن.

فأعاده الامام الىٰ «حمران».

فقال: انا جئت لا حاورك انت لا حمران!

فقال الامام: ان انت تغلّبت علىٰ حمران فقد انتصرت عليّ. فالتفت الرجل الشامي الىٰ حمران، وكلما سأله عن شئ سمع منه جوابا حتىٰ عجز. فسأله الامام:

كيف وجدت حمران؟

اجاب: استاد ماهر، فقد أجابني علىٰ كل ما سألته...[٦٠]

٢ ــ عبدالله بن ابي يعفور:

وهو من خاصّة اصحاب الامام الصادق (ع) وقد كان متقدّماً في

---

٥٩ ــ تحفة الاحباب ص ٧٧.

٦٠ ــ رجال الكشي ص ٢٧٦.

درجات المعرفة لمنزلة الامامة بحيث لم يُلحظ عليه سوىٰ الطاعة والاتباع للامام.

وقد قال للامام مرة:

لو قسمت رمانة الىٰ قسمين وقلت هذا النصف حرام وذاك النصف الآخر حلال، لشهدت علىٰ ان ما اعتبرته حلالاً فهو حلال وان ماعددته حراماً فهو حرام. فقال له الامام: يرحمك الله، كررها مرتين.[٦١]

وقد ابتلي عبدالله بمرض خاص كان يشتد عليه احياناً، واجيز له تناول الشراب لتسكين ذلك الداء.

فجاء الىٰ الامام (ع) واخبره بدائه وما وصف له من دواء وأوضح له انه ان تناول الشراب فسوف يسكن الداء فوراً.

فقال الامام: الشراب حرام، فلا تذقه ابداً. انه الشيطان يحاول ــ بعنوان علاج المرض ــ أن يدفع بك الىٰ معاقرة الخمرة، فان عصيته يأس منك وكف عنك.

فعاد ابن ابي يعفور الىٰ الكوفة فاشتد عليه مرضه اكثر مما سبق فجاء اهله بالخمر له فقال:

«والله لن اتناول منه حتىٰ قطرة واحدة».

فبقي علىٰ فراش المرض عدة ايام وتحمّل آلام المرض حتىٰ عافاه الله منه الىٰ الاخير.[٦٢]

وقد توفي ابن ابي يعفور في عصر الامام الصادق عليه السلام فكتب الامام رسالة الىٰ المفضل بن عمر يقول فيها:

---

٦١ ــ رجال الكشي ص ٢٤٩. معجم رجال الحديث ج ١ ص ١٠٣.

٦٢ ــ رجال الكشي ص ٢٤٧، ملخصاً.

يا مفضل عهدت اليك عهدي كان الىٰ عبدالله بن ابي يعفور صلوات الله عليه (رضي الله عنه) فمضىٰ صلوات الله عليه (رضي الله عنه) موقناً لله ولرسوله ولامامه بالعهد المعهود لله وقبض صلوات الله علىٰ روحه محمود الأثر مشكور السعي مغفوراً له مرحوماً برضاء الله ورسوله وامامه عنه بولادتي من رسول الله (ص) ما كان في عصرنا احد اطوع لله ولرسوله ولامامه منه فما زال كذلك حتىٰ قبض الله اليه برحمته وصيره الىٰ جنته مساكناً فيها مع رسول الله (صلعم) واميرالمؤمنين صلوات الله عليهما انزله الله بين المسكنين مسكن محمد واميرالمؤمنين صلوات الله عليهما وان كانت المساكن واحدة والدرجات واحدة فزاده الله رضا من عنده ومغفرة من فضله لرضاي عنه».[٦٣]

٣ ــ المفضل بن عمر الجعفي:

وهو من كبار اصحاب الامام الصادق وخاصته، واحد الفقهاء الكبار وهو ثقة.[٦٤] كان يعدّ من المقربين للامام وقد تصدىٰ لبعض الامور في زمانه (ع)[٦٥]

وقصد المدينة مجموعة من الشيعة وهي تطلب من الامام الصادق (ع) ان يدلهم علىٰ شخص يرجعون اليه عند الحاجة في شؤونهم الدينية والاحكام الشرعية، فقال الامام: كل من كان له سؤال فليأت الي وليسأ لني ثم يعود.

---

٦٣ ــ رجال الكشي ص ٢٤٩.

٦٤ ــ جامع الرواة ج ٢ ص ٢٥٨.

٦٥ ــ جامع الرواة ج ٢ ص ٢٥٨.

فألحّوا عليه ان يعيّن لهم شخصاً ايضاً فقال:

عينّت لكم المفضل فاقبلوا منه ما يقول، لانه لا يقول غيرالحق...[٦٦]

وقد عقد الامام الصادق (ع) عدة جلسات لدروس خاصّة في التوحيد القاها علىٰ المفضل وقد جمعت في كتاب يعرف بتوحيد المفضل، وقد تعرضنا لذكره سابقا وذكرنا مقتطفات منه. وهذه الدروس شاهد آخر علىٰ العناية الخاصة للامام بالمفضل ودليل علىٰ علو مكانته عند الامام (ع).

وكان المفضّل يتمتع بمكانة رفيعة عند الامام الصادق (ع) بحيث ان الامام قال له مرة:

«والله انني لأحبك واحبّ ايضا من يحبك...»[٦٧]

ويقول الامام الكاظم (ع) في حقّ المفضل:

ان المفضل مؤنسي وموجب راحتي[٦٨]. وعندما توفي المفضّل قال (ع): رحمه الله، لقد كان اباً بعد الأب، والآن استراح واطمئن بالاً.[٦٩]

استشهاد الامام:

ان الخليفة العباسي الظالم «المنصور الدوانيقي» وهو من ارذل خلفاء بني العباس واكثرهم ظلماً وقسوة قد سلط علىٰ الامام رقابة شديدة

---

٦٦ ــ رجال الكشي ص ٣٢٧.

٦٧ ــ البحارج ٤٧ ص ٣٩٥. الاختصاص للشيخ المفيد ص ٢١٦

٦٨ ــ تحفة الاحباب ص ٣٧٦.

٦٩ ــ تحفة الاحباب ص ٣٧٦.

بواسطة عماله وجواسيسه وقد استدعاه اليه عدة مرات للايذاء وحتىٰ انه عرضه للموت لكنه لما لم يكن الموت مقدراً عليه فانه لم يستطع تنفيذ نيته الخبيثة.

ينقل الامام السابع الكاظم عليه السلام انه ذات يوم استدعىٰ المنصور والدي حتىٰ يقتله وقد اعد لذلك عدته من سيف وغيره واوصىٰ الربيع ــ وهو من اعضاء بلاطه ــ بانه اذا دخل جعفر بن محمد وتحدثت معه ثم صفقت بيدي فعليك ان تضرب عنقه.

فلما دخل الامام عليه، وبمجرد ان وقعت عينا المنصور علىٰ الامام نهض من مكانه من دون ارادة ورحب به، وابدىٰ له انني جئت بك الىٰ هنا لأؤدي عنك ديونك...

ثم سأله بابتشار عن احوال اهله ومتعلقيه، ثم التفت الىٰ الربيع وقال له: اعد جعفر بن محمد الىٰ اهله بعد ثلاثة ايام...[٧٠]

إلا ان المنصور لم يستطع ان يتحمّل وجود الامام الذي طار صيت امامته وقيادته ليعم ابعد النقاط في البلاد الاسلامية ولهذا فقد اقدم علىٰ دس السم له في شهر شوال عام (١٤٨) ورحل الامام (ع) عن هذه الدنيا في الخامس والعشرين من شوال وقد كان عمره الشريف آنذاك خمساً وستين عاماً، وقد دفن جثمانه الكريم في البقيع الىٰ جانب والده العظيم.[٧١]

وما اروع قول الشاعر المجاهد الشيعي ابي هريرة العجلي في مأتم

---

٧٠ ــ عيون اخبار الرضا ج ١ ص ٣٠٤، البحار ج ٤٧ ص ١٦٢.

٧١ ــ اعلام الورىٰ ص ٢٦٦. الكافي ج ١ ص ٤٧٢. جنات الخلود ص ٢٧.

الامام (ع) حيث يقول باكياً:

اقول وقد راحوا به يحملونه على كاهل من حاملیه وعاتق
اتدرون ماذا تحملون الى الثرى ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهق
غداة حثى الحاثون فوق ضريحه ترابا وأولى كان فوق المفارق[٧٢]

اجل لا شك ان تاريخ الانسان والاسلام فقد باستشهاد الامام العظيم صادق آل محمد (ص) جوهرة ثمينة، بحيث لو لم يأت بعده الائمة الستة من نسله لقلنا من دون ترديد: ان هذا العالم عقيم عن تربية رجل عظيم مثله حتى يوم القيامة... صلوات الله عليه والملائكة والمؤمنين والصالحين.

آخر وصية للامام عليه السلام:

يقول ابوبصير وهو من اكبر اصحاب الامام الصادق عليه السلام:

بعد ارتحال الامام الى الملأ الا على ذهبت الى بيت الامام (ع) لأعزّي زوجته «ام حميدة»، فاستغرقنا في البكاء انا واياها على فقده ثم قالت لي:

يا ابا بصير لو كنت حاضراً حين وفاة الامام لأصابك العجب، لان الامام فتح عينيه وقال: اجمعوا لي اهل بيتي، وعندما اجتمعوا بين يديه قال (ع): «ان شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة»[٧٣].

---

٧٢ ــ منتهى الآمال، فصل حياة الامام الصادق (ع) ص ٤٧.

٧٣ ــ امالي الصدوق ص ٢٩٠. وسائل الشيعة ج ٣ ص ١٧.

مختارات من اقوال الامام (ع):

ولنلتفت في خاتمة المطاف الىٰ فقرات من اقوال الامام (ع) آملين ان تؤثر كلماته الشريفة في قلوبنا فتضيئها وتزيد ايماننا وتصبح مشعلا تضيئ لنا الطريق في العمل:

١ ــ «ان المسلم اذا جاء اخوه المسلم فقام معه في حاجته كان كالمجاهد في سبيل الله عزّ وجلّ»[٧٤].

٢ ــ «قال الله عزّوجلّ الخلق عيالي فأحبّهم اليّ الصقهم بهم وأسعاهم في حوائجهم»[٧٥].

٣ ــ «وجدت علم الناس كلّها في اربع: اولها ان تعرف ربك، والثاني ان تعرف ما صنع بك، الثالث ان تعرف ما ارادمنك، والرابع ان تعرف ما يخرجك من دينك»[٧٦].

٤ ــ «اربعة من اخلاق الانبياء: البرّ والسخاء والصبر علىٰ النائبة والقيام بحقّ المؤمن»[٧٧].

٥ ــ «المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضىٰ لا يدري ما يصنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لايصبح إلا خائفا ولا يمسي إلا خائفا ولا يصلحه إلا الخوف»[٧٨].

٦ ــ «لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتىٰ تكون فيه خصال

---

٧٤ ــ المستدرك ج ٢ ص ٤٠٧

٧٥ ــ الكافي ج ٢ ص ١٩٩.

٧٦ ــ الارشاد للمفيد ص ٢٦٥.

٧٧ ــ تحف العقول ص ٣٧٥.

٧٨ ــ تحف العقول ص ٣٧٧.

ثلاث: الفقه في الدين وحسن التقدير في المعيشة والصبر على الرزايا»[٧٩].

٧ ــ «ثلاثة لا تُعرف إلا في ثلاث مواطن: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا أخ إلا عند الحاجة»[٨٠].

٨ ــ «لا يستغني اهل كل بلد عن ثلاثة يفزع اليه في امر دنياهم وآخرتهم، فان عدموا ذلك كانوا همجاً: فقيه عالم ورع، وامير خيّر مطاع، وطبيب بصير ثقة»[٨١].

٩ ــ نحن اساس كل خير وحسن، وجميع الخيرات من اغصاننا واوراقنا، فالتوحيد والصيام وكظم الغيظ والعفو عمن اساء للانسان، والرحمة للضعيف والتفقّد للجار والاعتراف بفضيلة اصحاب الفضيلة، كل هذه الامور تعدّ من الخيرات.

واعداؤنا هم اساس كل شر وقبح، وجميع القبائح من غصونهم واوراقهم، من جملتها: الكذب والبخل والتقول وقطع الرحم والمراباة واكل مال اليتيم، والتعدّي عن الحدود التي عينّها الله وارتكاب الجرائم الخفية والظاهرة، والزنا والسرقة، وامثالها. وانه ليكذب من يدعي انه معنا ومن شيعتنا، بينما هو متمسك بساق واغصان اعدائنا ومتعلّق بها»[٨٢].

---

٧٩ ــ تحف العقول ص ٣٢٤.

٨٠ ــ تحف العقول ص ٣١٦.

٨١ ــ تحف العقول ص ٢٣٧.

٨٢ ــ الامام الصادق ج ٣ ص ١٣٨.

مَنشورات

مؤسّسة في طريق الحق

العنوان : قم ـ ص.ب ١٣٧ ـ ٣٧١٨٥

٢٤٠ ريال

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY - SEPT. 1996
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 058335934